



لجنة شؤون القرآن بالدعوة السلفية



مسابقة مواهب قرآنية

العام الثالث 1438 هـ / 2017 م

تعلن لجنة شؤون القرآن عن مسابقة
مواهب قرآنية في المستويات الآتية:

السن	عناصر المسابقة	المستوى
تحت سن 12 سنة	حفظ سورة الحجرات من تفسير محمد حسين مخلوف	الأول
من 12 إلى 14 سنة	حفظ سورة ابراهيم من تفسير أيسر التفاسير للجزائري	الثاني
من 15 إلى 18 سنة	حفظ سورة يوسف من تفسير السعدي	الثالث
من 18 إلى 25 سنة	حفظ سورة الكهف من تفسير ابن كثير	الرابع

موعد الإختبار 2017-2-17 بمسجد مدرسة القرآن بالباجور

للتواصل : رجال : 01098318311 نساء: 01012494830

- يتم تصعيد الأول في كل مستوى إلي تصفية المحافظة ثم إلي تصفيات الجمهورية
- الاختبارات في تصفيات المناطق والمحافظات تحريري وشفوي
- و في تصفية الجمهورية شفوي فقط

تفسير سورة الكهف لابن كثير

سُورَةُ الْكُهْفِ ذِكْرٌ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهَا وَالْعَشْرُ الْآيَاتِ مِنْ أَوْلَاهَا وَأَخْرَاهَا وَأَنَّهَا عَصْمَةٌ مِنَ الدَّجَالِ قَالَ الْبَرَاءُ : قَرَأَ رَجُلٌ الْكُهْفَ وَفِي الدَّارِ دَابَّةٌ فَجَعَلَتْ تَنْفِرَ فَتَنْظُرُ فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ غَشِيَتْهُ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ " اِقْرَأْ فَلَانَ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنْزِلُ عِنْدَ الْقُرْآنِ أَوْ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ " أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَتْلُوهَا هُوَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيرِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكُهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّنْسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكُهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَطَعَ لَهُ نُورٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ يُضِيءُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَظُرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ " وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي رَفْعِهِ نَظَرٌ وَأَحْسَنَ أَحْوَالِهِ الْوَقْفُ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكُهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ هَكَذَا وَقَعَ مَوْقُوفًا وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكُهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ " .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ أَنَّهُ تَعَالَى يَحْمَدُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ عِنْدَ فَوَاتِحِ الْأُمُورِ وَخَوَاتِمِهَا فَإِنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَهَذَا حَمْدٌ نَفْسُهُ عَلَى أَنْزَالِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ إِذْ أَخْرَجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ حَيْثُ جَعَلَهُ كِتَابًا مُسْتَقِيمًا لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ وَلَا زَيْغَ بَلْ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَاضِحًا بَيِّنًا جَلِيًّا نَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا قَالَ " وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا " أَي لَمْ يَجْعَلْ فِيهِ اعْوَجَاجًا وَلَا زَيْغًا وَلَا مَيْلًا بَلْ جَعَلَهُ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا .

قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2)

وَهَذَا قَالَ قِيَمًا أَي مُسْتَقِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ أَي لِمَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ يُنذِرُهُ بَأْسًا شَدِيدًا عَقُوبَةً عَاجِلَةً فِي الدُّنْيَا وَآجِلَةً فِي الْآخِرَةِ مِنْ لَدُنْهِ أَي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وَتَاقَهُ أَحَدًا " وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ " أَي بِهِذَا الْقُرْآنِ الَّذِينَ صَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا أَي مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ جَمِيلَةً .

مَآكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) " مَآكِثِينَ فِيهِ " فِي ثَوَابِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهِ أَبَدًا دَائِمًا لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا انْقِضَاءَ .

وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ .

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)

" مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ " أَي بِهِذَا الْقَوْلِ الَّذِي افْتَرَوْهُ وَاتَّفَكَوْهُ وَلَا لِآبَائِهِمْ أَي لِأَسْلَافِهِمْ " كَبُرَتْ كَلِمَةً " نَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ تَقْدِيرَهُ كَبُرَتْ

كَلِمَتِهِمْ هَذِهِ وَقِيلَ عَلَى التَّعَجُّبِ تَقْدِيرُهُ أَعْظَمُ بِكَلِمَتِهِمْ كَلِمَةً كَمَا تَقُولُ أَكْرَمُ بَزِيدٌ رَجُلًا قَالَهُ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَاءِ
مَكَّةَ كَبُرَتْ كَلِمَةً كَمَا يُقَالُ عَظُمَ قَوْلُكَ وَكَبُرَ شَأْنُكَ وَالْمَعْنَى عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ أَظْهَرَ فَإِنَّ هَذَا تَبَشِيرٌ لِمَقَالَتِهِمْ وَاسْتِعْظَامٌ لِفَاكِهِمْ
وَلِهَذَا قَالَ " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " أَي لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ سِوَى قَوْلِهِمْ وَلَا دَلِيلٌ لَهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَذِبُهُمْ وَافْتِرَائُهُمْ وَلِهَذَا قَالَ " إِنْ
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا " وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فَقَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْذُ بَضْعِ
وَأَرْبَعِينَ سَنَةً عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : بَعَثَتْ قُرَيْشُ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا
لَهُمْ سَلُّوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصَفُّوا لَهُمَا صِفَتَهُ وَأَخْبَرُوهُمْ بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ فَخَرَجَا
حَتَّى أَتَيَا الْمَدِينَةَ فَسَأَلُوا أَحْبَارَ يَهُودِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوصَفُوا لَهُمْ أَمْرَهُ وَبَعْضَ قَوْلِهِ وَقَالَا : إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا
عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا قَالَ : فَقَالُوا لَهُمْ سَلُّوهُ عَنْ ثَلَاثِ نَأْمُرْكُمْ بِهِنَ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَ فَهُوَ نَبِيُّ مَرْسَلٍ وَإِلَّا فَرَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ فَتَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ
سَلُّوهُ عَنْ فَتِيَّةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ وَسَلُّوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَافٍ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبُوهُ وَسَلُّوهُ عَنْ الرُّوحِ مَا هُوَ ؟ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَهُوَ نَبِيُّ فَاتَّبِعُوهُ وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْكُمْ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ
مَا بَدَأَ لَكُمْ فَأَقْبَلِ النَّضْرَ وَعُقْبَةَ حَتَّى قَدِمَا عَلَى قُرَيْشٍ فَقَالَا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفِصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ أَمَرْنَا
أَحْبَارَ يَهُودِ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ فَأَخْبَرُوهُمْ بِهَا فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ " أَخْبِرْكُمْ غَدًا عَمَّا سَأَلْتُمْ عَنْهُ " وَلَمْ يَسْتَتِنْ فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ
وَحَيًّا وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلَ مَكَّةَ وَقَالُوا : وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ قَدْ أَصْبَحْنَا فِيهَا لَا يُخْبِرُنَا
بِشَيْءٍ عَمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ الْوَحْيِ عَنْهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ الْكَهْفِ فِيهَا مَعَاتِبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ وَخَبَرًا مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ وَالرَّجُلِ الطَّوَافِ وَقَوْلِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي " الْآيَةَ.

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِرَسُولِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ فِي حُزْنِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ وَبَعْدَهُمْ عَنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى " فَلَا
تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ " وَقَالَ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَقَالَ " لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " بَاخِعٌ أَي مُهْلِكٌ نَفْسَكَ بِحُزْنِكَ
عَلَيْهِمْ وَلِهَذَا قَالَ " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ " يَعْنِي الْقُرْآنَ أَسَفًا يَقُولُ لَا تَهْلِكْ نَفْسُكَ أَسَفًا قَالَ
قَتَادَةَ : قَاتَلَ نَفْسَكَ غَضَبًا وَحُزْنًا عَلَيْهِمْ وَقَالَ مُجَاهِدٌ جَزَعًا وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ أَي لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ بَلْ أْبَلِّغْكُمْ رَسُولَةَ اللَّهِ فَمَنْ اهْتَدَى
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارًا فَائِيَّةً مَزِينَةً بِزِينَةِ زَانِلَةٍ
وَإِنَّمَا جَعَلَهَا دَارَ إِخْتِبَارٍ لَا دَارَ قَرَارٍ.

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7)

فَقَالَ " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " قَالَ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَصِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرِ مَاذَا تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ " ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِزَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَفِرَاقِهَا وَانْقِضَانِهَا وَذَهَابِهَا وَخَرَابِهَا.

وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)

فَقَالَ تَعَالَى وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا أَيُّ وَإِنَّا لَمُصِيرُوهَا بَعْدَ الزَّيْنَةِ إِلَى الْخُرَابِ وَالِدَّمَارِ فَجَعَلَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا هَالِكًا صَعِيدًا جُرُزًا لَا يُنْبِتُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَمَا قَالَ الْعُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى " وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا " يَقُولُ يَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا وَيُبِيدُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ : صَعِيدًا جُرُزًا بَلْقَعًا وَقَالَ قَتَادَةُ : الصَّعِيدُ الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَجَرٌ وَلَا نَبَاتٌ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : الصَّعِيدُ الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ " وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا يَعْنِي الْأَرْضَ وَأَنَّ مَا عَلَيْهَا لَفَانَ وَيَأْتِدُ وَأَنَّ الْمَرْجِعَ لِلَّهِ فَلَا تَأْسَ وَلَا يَحْزَنُكَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9)

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ عَلَى سَبِيلِ الْأَجْمَالِ وَالِاخْتِصَارِ ثُمَّ بَسَطَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ " أَمْ حَسِبْتَ " يَعْنِي يَا مُحَمَّدُ " أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا " أَيُّ لَيْسَ أَمْرُهُمْ عَجِيبًا فِي قُدْرَتِنَا وَسُلْطَانِنَا فَإِنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَسْخِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَعْجَبَ مِنْ أَخْبَارِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ كَمَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا " يَقُولُ قَدْ كَانَ مِنْ آيَاتِنَا مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ الْعُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا " يَقُولُ الَّذِي آتَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ وَالْكِتَابِ أَفْضَلَ مِنْ شَأْنِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : مَا أَظْهَرَتْ مِنْ حُجْجِي عَلَى الْعِبَادِ أَعْجَبَ مِنْ شَأْنِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ وَأَمَّا الْكَهْفُ فَهُوَ الْغَارُ فِي الْجَبَلِ وَهُوَ الَّذِي لَجَأَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ الْمَذْكُورُونَ وَأَمَّا الرَّقِيمُ فَقَالَ الْعُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : هُوَ وَادٍ قَرِيبٌ مِنْ أَيْلَةٍ وَكَذَا قَالَ عَطِيَّةُ الْعُوفِيِّ وَقَتَادَةُ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَمَّا الْكَهْفُ فَهُوَ غَارُ الْوَادِي وَالرَّقِيمُ اسْمُ الْوَادِي وَقَالَ مُجَاهِدٌ الرَّقِيمُ كِتَابٌ بَنِيَاتِهِمْ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ هُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ كَهْضُهُمْ وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ الرَّقِيمُ كَانَ يَزْعُمُ كَعْبٌ أَنَّهَا الْقَرْيَةُ وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الرَّقِيمُ الْجَبَلُ الَّذِي فِيهِ الْكَهْفُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : اسْمُ ذَلِكَ الْجَبَلِ بَنَجْلُوسُ وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ شُعَيْبِ الْجُبَّانِيِّ أَنَّ اسْمَ جَبَلِ الْكَهْفِ بَنَجْلُوسُ وَاسْمُ الْكَهْفِ حَيْزَمُ وَالْكَلْبُ حَمْرَانُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ :

الْقُرْآنَ أَعْلَمَهُ إِلَّا حَنَاوَاهُ وَالرَّقِيمَ وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرِمَةَ يَقُولُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا أُدْرِي مَا الرَّقِيمُ ؟ كِتَابٌ أَمْ بَنِيَانٌ ؟ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الرَّقِيمُ الْكِتَابُ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : الرَّقِيمُ لَوْحٌ مِنْ حِجَارَةٍ كَتَبُوا فِيهِ قِصَصَ أَصْحَابِ الْكُهْفِ ثُمَّ وَضَعُوهُ عَلَى بَابِ الْكُهْفِ .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : الرَّقِيمُ الْكِتَابُ ثُمَّ قَرَأَ " كِتَابَ مَرْقُومٍ " وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جُرَيْرٍ قَالَ الرَّقِيمُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَرْقُومٍ كَمَا يَقُولُ لِلْمَقْتُولِ قَتِيلٌ وَلِلْمَجْرُوحِ جَرِيحٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكُهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10)

وَقَوْلُهُ " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكُهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا " يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَوْلِيكَ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ فَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ لِنَلَّا يَفْتَنُوهُمْ عَنْهُ فَهَرَبُوا مِنْهُ فَلَجُّوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ لِيَخْتَفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ فَقَالُوا حِينَ دَخَلُوا سَائِلِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رَحْمَتَهُ وَلُطْفَهُ بِهِمْ " رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً " أَي هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرْحَمْنَا بِهَا وَتَسْتُرْنَا عَنْ قَوْمِنَا " وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا " أَي وَقَدِّرْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا هَذَا أَي اجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رَشَدًا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ وَمَا قَضَيْتَ لَنَا مِنْ قَضَاءٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا وَفِي الْمُسْتَدِّ مِنْ حَدِيثِ بَسْرِ بْنِ أَرْطَاةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو " اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ . "

فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11)

وَقَوْلُهُ " فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا " أَي أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حِينَ دَخَلُوا إِلَى الْكُهْفِ فَنَامُوا سِنِينَ كَثِيرَةً .

ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)

" ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ " أَي مِنْ رَقَدَتِهِمْ تِلْكَ وَخَرَجَ أَحَدُهُمْ بِدِرَاهِمٍ مَعَهُ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ بِهَا طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ وَلِهَذَا قَالَ " ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ " أَي الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِمْ " أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا " قِيلَ عَدَدًا وَقِيلَ غَايَةً فَإِنَّ الْأَمَدَ الْغَايَةَ كَقَوْلِهِ : سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى (13)

مِنْ هَاهُنَا شَرَعَ فِي بَسْطِ الْقِصَّةِ وَشَرَحَهَا فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ وَهُمْ الشَّبَابُ وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلْسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ قَدَّ عَتَوْا وَانْعَمَسُوا فِي دِينِ الْبَاطِلِ وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرَ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ شَبَابًا وَأَمَّا الْمَشَايخُ مِنْ قُرَيْشٍ فَعَامَتُهُمْ بَقُوا عَلَى دِينِهِمْ وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ هَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكُهْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً شَبَابًا وَقَالَ مُجَاهِدٌ : بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ فِي آذَانِ بَعْضِهِمُ الْقِرْطَةَ يَعْنِي الْحَلْقَ فَالْهَمَّهُمْ اللَّهُ رَشَدَهُمْ وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ فَأَمَّنُوا بِرَبِّهِمْ أَي اعْتَرَفُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَشَهِدُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ " وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى " اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْمَةِ كَالْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتَفَاضُلِهِ وَأَنَّهُ يَزِيدُ

وَيَنْقُصُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَزِدْنَاهُمْ هُدًى " كَمَا قَالَ " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ " وَقَالَ " فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَدَدْتُهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ " وَقَالَ " لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ " إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ بِالْكَلْبِيَّةِ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ لَمَا اعْتَنَى أَحْبَارُ الْيَهُودِ بِحِفْظِ خَبَرِهِمْ وَأَمْرِهِمْ لِمَبَايِنَتِهِمْ لَهُمْ وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ أَشْيَاءَ يَمْتَحِنُونَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثُوا إِلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ خَبَرِ هُوْلَاءِ وَعَنْ خَبَرِ ذِي الْقُرْنَيْنِ وَعَنِ الرُّوحِ فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مَحْفُوظٌ فِي كِتَابِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (14)

وَقَوْلُهُ " وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " يَقُولُ تَعَالَى وَصَبَرْنَاهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ وَمُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفْسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ مَلُوكِ الرُّومِ وَسَادَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ خَرَجُوا يَوْمًا فِي بَعْضِ أعيَادِ قَوْمِهِمْ وَكَانَ لَهُمْ مُجْتَمَعٌ فِي السَّنَةِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالطَّوَاغِيتَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ جَبَّارٌ عَنِيدٌ يُقَالُ لَهُ دَقِيَانُوسُ وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَيَحْتُمُّ عَلَيْهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ لِمُجْتَمَعِهِمْ ذَلِكَ وَخَرَجَ هُوْلَاءِ الْفِتْيَةِ مَعَ آبَائِهِمْ وَقَوْمِهِمْ وَنَظَرُوا إِلَى مَا يَصْنَعُ قَوْمُهُمْ بَعَيْنَ بَصِيرَتِهِمْ عَرَفُوا أَنَّ هَذَا الَّذِي يَصْنَعُهُ قَوْمُهُمْ مِنَ السُّجُودِ لِأَصْنَامِهِمْ وَالذَّبْحِ لَهَا لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَخَلَّصُ مِنْ قَوْمِهِ وَيَنْحَازُ مِنْهُمْ وَيَتَبَرَّرُ عَنْهُمْ نَاحِيَةً فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ مِنْهُمْ وَحَدَهُ أَحَدُهُمْ جَلَسَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَجَاءَ الْآخِرُ فَجَلَسَ إِلَيْهَا عِنْدَهُ وَجَاءَ الْآخِرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمَا وَجَاءَ الْآخِرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ وَجَاءَ الْآخِرُ وَجَاءَ الْآخِرُ وَوَلَا يَعْرِفُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ الْآخَرَ وَإِنَّمَا جَمَعَهُمْ هُنَاكَ الَّذِي جَمَعَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيْمَانِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا ائْتَلَفَ " وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ الْجَنَسِيَّةُ عَلَّةُ الضَّمِّ ، وَالْغَرَضُ أَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ يَكْتُمُ مَا هُوَ عَلَيْهِ عَنْ أَصْحَابِهِ خَوْفًا مِنْهُمْ وَلَا يَدْرِي أَنَّهُمْ مِثْلُهُ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ : تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ يَا قَوْمِ إِنَّهُ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ وَأَفْرَدَكُمْ عَنْهُمْ إِلَّا شَيْءٌ فَلْيُظْهِرْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِأَمْرِهِ فَقَالَ آخَرٌ : أَمَا أَنَا فَإِنِّي وَاللَّهِ رَأَيْتُ مَا قَوْمِي عَلَيْهِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَإِنَّمَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْئًا هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَقَالَ الْآخَرُ : وَأَنَا وَاللَّهِ وَقَعَ لِي كَذَلِكَ وَقَالَ الْآخَرُ كَذَلِكَ حَتَّى تَوَافَقُوا كُلَّهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَصَارُوا يَدًا وَاحِدَةً وَإِخْوَانٌ صِدْقٌ فَاتَّخَذُوا لَهُمْ مَعْبَدًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ فَعَرَفَ بِهِمْ قَوْمُهُمْ فَوَشَوْا بِأَمْرِهِمْ إِلَى مَلِكِهِمْ فَاسْتَحْضَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ فَأَجَابُوهُ بِالْحَقِّ وَدَعَوْهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِهَذَا

أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ : بِقَوْلِهِ " وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا " وَلَنْ لِنُفِي التَّائِيدِ
أَي لَأَيَقَعُ مِنْهَا هَذَا أَبَدًا لَأَنَّا لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَكَانَ بَاطِلًا وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ " لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا " أَي بَاطِلًا وَكَذِبًا وَبُهْتَانًا.

هُؤُلَاءِ قَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَأَيَاتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)

" هُوَ لَأَيَقَعُ قَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَأَيَاتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ " أَي هَلَّا أَقَامُوا عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ دَلِيلًا وَاضِحًا صَحِيحًا " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا " يَقُولُونَ : بَلْ هُمْ ظَالِمُونَ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ فَيُقَالُ إِنَّ مَلِكَهُمْ لَمَّا دَعَوْهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ
أَبَى عَلَيْهِمْ وَتَهَدَّدَهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ وَأَمَرَ بِنَزْعِ لِبَاسِهِمْ عَنْهُمْ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ زِينَةِ قَوْمِهِمْ وَأَجْلَهُمْ لِيَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ وَكَانَ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ فِي تِلْكَ النَّظَرَةِ تَوَصَّلُوا إِلَى الْهَرَبِ مِنْهُ وَالضَّرَارِ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ وَهَذَا
هُوَ الْمَشْرُوعُ عِنْدَ وَقُوعِ الْفِتْنِ فِي النَّاسِ أَنْ يَضُرَّ الْعَبْدَ مِنْهُمْ خَوْفًا عَلَى دِينِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ " يَوْشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالٍ أَحَدِكُمْ
غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَغَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَضُرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتْنِ " فَفِي هَذِهِ الْحَالِ تَشْرَعُ الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ وَلَا تَشْرَعُ فِيهَا عَدَاهَا لَمَّا
يَضُوتُ بِهَا مِنْ تَرْكِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمُعِ فَلَمَّا وَقَعَ عَزْمُهُمْ عَلَى الذَّهَابِ وَالْهَرَبِ مِنْ قَوْمِهِمْ وَاخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِذَلِكَ
وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (16)

فِي قَوْلِهِ " وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ " أَي وَإِذَا فَارَقْتُمُوهُمْ وَخَالَفْتُمُوهُمْ بِأَدْيَانِكُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ فَفَارَقُوهُمْ أَيْضًا
بِأَدْيَانِكُمْ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ أَي يَبْسُطُ عَلَيْكُمْ رَحْمَةً يَسْتَرْكُمُ بِهَا مِنْ قَوْمِكُمْ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ
فِيهِ مَرْفَقًا أَي أَمْرًا تَرْتَفِقُونَ بِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا هَرَابًا إِلَى الْكَهْفِ فَأَوُوا إِلَيْهِ فَفَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَتَطَلَّبَهُمُ الْمَلِكُ
فَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَطْفُرْ بِهِمْ وَعَمَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَبَرَهُمْ كَمَا فَعَلَ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَاحِبِهِ الصِّدِّيقِ حِينَ لَجَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ
مِنْ قُرَيْشٍ فِي الطَّلَبِ فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُمْ يَمْرُونَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ رَأَى جَزَعَ الصِّدِّيقِ فِي قَوْلِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ
أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَوْضِعِ قَدَمِيهِ لَأَبْصَرْنَا فَقَالَ " يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنَنْكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثَهُمَا ؟ " وَقَدْ قَالَ تَعَالَى " إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ
اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ
لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " فَقِصَّةُ هَذَا الْغَارِ أَشْرَفٌ وَأَجَلٌ وَأَعْظَمُ وَأَعْجَبٌ مِنْ
قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْمَهُمْ ظَفَرُوا وَوَقَفُوا عَلَى بَابِ الْغَارِ الَّذِي دَخَلُوهُ فَقَالُوا مَا كُنَّا نُرِيدُ مِنْهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ أَكْثَرَ مِمَّا
فَعَلُوا بِأَنْفُسِهِمْ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِرَدِّمْ بَابَهُ عَلَيْهِمْ لِيَهْلِكُوا مَكَانَهُمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَفِي هَذَا نَظَرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ الشَّمْسَ
تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي الْكَهْفِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا كَمَا قَالَ تَعَالَى.

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنَ يَهْدِ

اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضَلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17)

فَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَابَ هَذَا الْكَهْفِ كَانَ مِنْ نَحْوِ الشَّمَالِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا دَخَلَتْهُ عِنْدَ طُلُوعِهَا تَزَاوَرُ عَنْهُ " ذَاتُ الْيَمِينِ " أَي يَتَقَلَّصُ الْفِيءُ يَمْنَةً كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ " تَزَاوَرُ " أَي تَمِيلُ وَذَلِكَ أَنَّهَا كَلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الْأَفْقِ تَقَلَّصَ شُعَاعُهَا بِارْتِفَاعِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الزَّوَالِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ وَلِهَذَا قَالَ " وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّضَهُمْ ذَاتُ الشَّمَالِ " أَي تَدْخُلُ إِلَى غَارِهِمْ مِنْ شِمَالِ بَابِهِ وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا وَهَذَا بَيْنَ لَمَنْ تَأَمَّلَهُ وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِمَعْرِفَةِ الْهَيْئَةِ وَسَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَبَيَانِهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ بَابُ الْغَارِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ لَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدَ الْغُرُوبِ وَلَوْ كَانَ مِنْ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ لَمَا دَخَلَ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدَ الطُّلُوعِ وَلَا عِنْدَ الْغُرُوبِ وَلَا تَزَاوَرُ الْفِيءُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَوْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ لَمَا دَخَلَتْهُ وَقْتُ الطُّلُوعِ بَلْ بَعْدَ الزَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ فِيهِ إِلَى الْغُرُوبِ فَتَعَيَّنَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ : " تَقَرَّضَهُمْ " تَتْرَكُهُمْ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ وَأَرَادَ مِنْهَا فَهْمَهُ وَتَدْبِيرَهُ وَلَمْ يُخْبِرْنَا بِمَكَانِ هَذَا الْكَهْفِ فِي أَيِّ الْبِلَادِ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ لَا فَائِدَةَ لَنَا فِيهِ وَلَا قَصْدَ شَرْعِيٍّ وَقَدْ تَكَلَّفَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فَذَكَرُوا فِيهِ أَقْوَالَ فَتَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ هُوَ قَرِيبٌ مِنْ أَيْلَةَ وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : هُوَ عِنْدَ نَيْنَوَى وَقِيلَ بِبِلَادِ الرُّومِ وَقِيلَ بِبِلَادِ الْبَلْقَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيِّ بِلَادِ اللَّهِ هُوَ ; وَلَوْ كَانَ لَنَا فِيهِ مَصْلِحَةٌ دِينِيَّةٌ لَأَرَشَدْنَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ إِلَيْهِ فَقَدْ قَالَ ﷺ " مَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُضْرِبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ بِهِ " فَأَعْلَمْنَا تَعَالَى بِصِفَتِهِ وَلَمْ يَعْلَمْنَا بِمَكَانِهِ فَقَالَ " وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ " قَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : تَمِيلُ " ذَاتُ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّضَهُمْ ذَاتُ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ " أَي فِي مُتَسَعٍ مِنْهُ دَاخِلًا بِحَيْثُ لَا تُصِيبُهُمْ إِذْ لَوْ أَصَابَتْهُمْ لَأَحْرَقَتْ أَبْدَانَهُمْ وَثِيَابَهُمْ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ " ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ " حَيْثُ أَرَشَدَهُمْ إِلَى هَذَا الْغَارِ الَّذِي جَعَلَهُمْ فِيهِ أَحْيَاءَ وَالشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِيهِ لَتَبْقَى أَبْدَانُهُمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ " ثُمَّ قَالَ " مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي " الْآيَةُ أَي هُوَ الَّذِي أَرَشَدَ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةَ إِلَى الْهُدَايَةِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ اهْتَدَى وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتُ الْيَمِينِ وَذَاتُ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلِيَّتٌ مِنْهُمْ فَارًا
وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ رُعبًا (18)

ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ بِالنَّوْمِ لَمْ تَنْطَبِقْ أَعْيُنُهُمْ لِنَلَّا يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْبَلْبَى فَإِذَا بَقِيَتْ ظَاهِرَةً لِلْهَوَاءِ كَانَ أَبْقَى لَهَا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ " وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الذَّنْبِ أَنَّهُ يَنَامُ فَيُطَبِّقُ عَيْنًا وَيُفْتَحُ عَيْنًا ثُمَّ يَفْتَحُ هَذِهِ وَيُطَبِّقُ هَذِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : يَنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَبَيْهِ وَيَبْتَقِي ... بِأُخْرَى الرِّزَايَا فَهُوَ يَقْضَانُ نَائِمٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى " وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتُ الْيَمِينِ وَذَاتُ الشَّمَالِ " قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : يَقْلُبُونَ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ لَمْ يَقْلُبُوا لَأَكَلَتْهُمُ الْأَرْضُ وَقَوْلُهُ " وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ الْوَصِيدُ الْفَنَاءُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالْبَابِ وَقِيلَ بِالْوَصِيدِ وَهُوَ التُّرَابُ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ بِالْفَنَاءِ وَهُوَ الْبَابُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى " إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ " أَي مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ وَيُقَالُ وَصَيْدٌ وَأَصِيدٌ رِبْضٌ كَلْبُهُمْ عَلَى الْبَابِ

كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْكَلَابِ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : يَحْرُسُ عَلَيْهِمُ الْبَابَ وَهَذَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ حَيْثُ يَرِيضُ بِبَابِهِمْ كَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ وَكَانَ جَلُوسَهُ خَارِجَ الْبَابِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ وَلَا صُورَةٌ وَلَا جُنُبٌ وَلَا كَافِرٌ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْحَسَنُ . وَشَمِلَتْ كَلْبَهُمْ فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَهَذَا فَائِدَةٌ صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ فَإِنَّهُ صَارَ لِهَذَا الْكَلْبِ ذِكْرٌ وَخَبْرٌ وَشَأْنٌ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ كَلْبٌ صَيِّدٌ لِأَحَدِهِمْ وَهُوَ الْأَشْبَهُ وَقِيلَ كَلْبٌ طَبَّاحُ الْمَلِكِ وَقَدْ كَانَ وَافَقَهُمْ عَلَى الدِّينِ وَصَحِبَهُ كَلْبَهُ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ اسْمُ كَبْشِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ جَرِيرٌ وَاسْمُ هُدُودِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنُزٌ وَاسْمُ كَلْبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ قِطْمِيرٌ وَاسْمُ عَجَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي عَبَدُوهُ بِهِمُوتَ .

وَهَبَطَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْهِنْدِ وَحَوَاءَ بِجُدَّةَ وَابْلِيسَ بِدَسْتِ بَيْسَانَ وَالْحَيَّةَ بِأَصْفَهَانَ وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنَ شُعَيْبِ الْجُبَّائِيِّ أَنَّهُ سَمَّاهُ حَمْرَانَ وَاخْتَلَفُوا فِي لُؤْنِهِ عَلَى أَقْوَالٍ لَا حَاصِلَ لَهَا وَلَا طَائِلَ تَحْتَهَا وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهَا وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا بَلْ هِيَ مِمَّا يَنْهَى عَنْهُ فَإِنَّ مُسْتَنْدَاهَا رَجَمَ بِالْغَيْبِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى " لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّنتَ مِنْهُمْ رُعْبًا " أَيُّ أَنَّهُ تَعَالَى أَلْقَى عَلَيْهِمُ الْمَهَابَةَ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ نَظْرُ أَحَدٍ عَلَيْهِمْ إِلَّا هَابَهُمْ لَمَّا أُتْبِسُوا مِنَ الْمَهَابَةِ وَالذُّعْرُ لِنَلَا يَدْنُو مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا تَمَسُّهُمْ يَدٌ لَأَمْسَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَتَنْقُضِي رَقَدَتَهُمُ الَّتِي شَاءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهَمَّ لَمَّا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ .

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19)

يَقُولُ تَعَالَى كَمَا أَرْقَدْنَاهُمْ بَعَثْنَاهُمْ صَاحِبَةً أَبْدَانَهُمْ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَبْشَارَهُمْ لَمْ يَفْقِدُوا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ شَيْئًا وَذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ وَتَسَعِ سِنِينَ وَهَذَا تَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ " كَمْ لَبِثْتُمْ " أَيُّ كَمْ رَقَدْتُمْ " قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ " لِأَنَّهُ كَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ فِي أَوَّلِ نَهَارٍ وَاسْتِيقَاضُهُمْ كَانَ فِي آخِرِ نَهَارٍ وَهَذَا اسْتَدْرَكُوا فَقَالُوا " أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ " أَيُّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِكُمْ وَكَأَنَّهُ حَصَلَ لَهُمْ نَوْعٌ تَرَدَّدَ فِي كَثْرَةِ نَوْمِهِمْ فَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ عَدُّوا إِلَى الْأَهَمِّ فِي أَمْرِهِمْ إِذْ ذَاكَ وَهُوَ اِحْتِيَاجُهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَقَالُوا " فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ " أَيُّ فَضِّتْكُمْ هَذِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ اسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ دَرَاهِمَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا فَتَصَدَّقُوا مِنْهَا وَبَقِيَ مِنْهَا فَلِهَذَا قَالُوا " فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ " أَيُّ مَدِينَتِكُمْ الَّتِي خَرَجْتُمْ مِنْهَا وَاللَّامُ لِلْعَهْدِ " فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا " أَيُّ أَطْيَبَ طَعَامًا كَقَوْلِهِ " وَلَوْ لَأَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا " وَقَوْلُهُ " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى " وَمِنْهُ الزَّكَاةُ الَّتِي تُطَيَّبُ الْمَالُ وَتُطَهَّرُ وَقِيلَ أَكْثَرَ طَعَامًا وَمِنْهُ زَكَا الزَّرْعُ إِذَا كَثُرَ قَالَ الشَّاعِرُ : قَبَانِلْنَا سَبْعَ وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةٌ ... وَلَسَبَّعَ أَزْكَى مِنْ ثَلَاثٍ وَأَطْيَبَ وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ إِنَّمَا هُوَ الطَّيِّبُ الْحَلَالُ سِوَاءَ كَانَ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا وَقَوْلُهُ " وَلْيَتَلَطَّفْ " أَيُّ فِي خُرُوجِهِ وَذَهَابِهِ وَشِرَائِهِ وَإِيَابِهِ يَقُولُونَ وَيُخْتَفَى كُلَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ " وَلَا يُشْعِرَنَّ " أَيُّ وَلَا يُعْلَمَنَّ " بِكُمْ أَحَدًا .

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)

"إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ" "أَيُّ إِنْ عَلِمُوا بِمَكَانِكُمْ" "يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ" "يَعْنُونَ أَصْحَابَ دَقْيَانُوسَ يَخَافُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مَكَانِهِمْ فَلَا يَزَالُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِلَى أَنْ يُعِيدُوهُمْ فِي مِلَّتِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا أَوْ يَمُوتُوا وَإِنْ وَافَقْتُمُوهُمْ عَلَى الْعُودِ فِي الدِّينِ فَلَا فَلاحَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَلِهَذَا قَالَ " وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدْنَا. "

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمُ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)

يَقُولُ تَعَالَى " وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ " أَيُّ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمُ النَّاسَ " لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا " ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ حَصَلَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ شَكٌّ فِي الْبَعْثِ وَفِي أَمْرِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ عِكْرِمَةَ : كَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ قَدْ قَالُوا تَبِعَتْ الْأَرْوَاحُ وَلَا تَبِعَتْ الْأَجْسَادَ فَبِعَثَ اللَّهُ أَهْلَ الْكُهْفِ حُجَّةً وَدَلَالَةً وَآيَةً عَلَى ذَلِكَ وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْخُرُوجَ لِيَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي شِرَاءِ شَيْءٍ لَهُمْ لِيَأْكُلُوهُ تَنَكَّرَ وَخَرَجَ يَمْشِي فِي غَيْرِ الْجَادَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدِينَةِ وَذَكَرُوا أَنَّ اسْمَهَا دَقْسُوسٌ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِهَا وَكَانَ النَّاسُ قَدْ تَبَدَّلُوا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَأُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ وَتَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : أَمَا الدِّيَارُ فَإِنَّهَا كدِيَارِهِمْ ... وَأَرَى رِجَالَ الْاِحْيَى غَيْرِ رِجَالِهِ

فَجَعَلَ لَا يَرَى شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِ الْبَلَدِ الَّتِي يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا لَا خَوَاصَهَا وَلَا عَوَامَهَا فَجَعَلَ يَتَحَيَّرُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ : لَعَلَّ بِي جُنُونًا أَوْ مَسًّا أَوْ أَنَا حَالِمٌ وَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا بِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ عَهْدِي بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ عَشِيَّةَ أَمْسٍ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ ثُمَّ قَالَ : إِنْ تَعَجَّلَ الْخُرُوجَ مِنْ هَاهُنَا لَأُوتَى لِي ثُمَّ عَمِدَ إِلَى رَجُلٍ مِمَّنْ يَبِيعُ الطَّعَامَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَا مَعَهُ مِنَ النَّفَقَةِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَبِيعَهُ بِهَا طَعَامًا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الرَّجُلَ أَتَكَرَّهَا وَأَتَكَرَّضَرِبَهَا فَدَفَعَهَا إِلَى جَارِهِ وَجَعَلُوا يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَقُولُونَ لَعَلَّ هَذَا وَجَدَ كَنْزًا فَسَأَلُوهُ عَنْ أَمْرِهِ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ هَذِهِ النَّفَقَةُ لَعَلَّهُ وَجَدَهَا مِنْ كَنْزٍ وَمِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ أَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ وَعَهْدِي بِهَا عَشِيَّةَ أَمْسٍ وَفِيهَا دَقْيَانُوسٌ فَتَسْبُوهُ إِلَى الْجُنُونِ فَحَمَلُوهُ إِلَى وُلِيِّ أَمْرِهِمْ فَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ وَخَبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِهِ وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِي حَالِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ فَلَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ قَامُوا مَعَهُ إِلَى الْكُهْفِ - مَلِكِ الْبَلَدِ وَأَهْلِهَا - حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْكُهْفِ فَقَالَ لَهُمْ : دَعُونِي حَتَّى أَتَقَدَّمَكُمْ فِي الدُّخُولِ لِأَعْلَمَ أَصْحَابِي فَدَخَلَ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ ذَهَبَ فِيهِ وَأَخْفَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَبْرَهُمْ وَيُقَالُ بَلْ دَخَلُوا عَلَيْهِمْ وَرَأَوْهُمْ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ وَاعْتَنَقَهُمْ وَكَانَ مُسْلِمًا فِيمَا قِيلَ وَأَسْمُهُ بِنْدُوسِيْسٌ فَفَرَحُوا بِهِ وَأَنَسُوهُ بِالْكَلامِ ثُمَّ وَدَعُوهُ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَعَادُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَتَوَفَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ قَتَادَةَ : غَزَا ابْنُ عَبَّاسٍ مَعَ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَمَرُوا بِكُهْفٍ فِي بِلَادِ الرُّومِ فَرَأَوْا فِيهِ عِظَامًا فَقَالَ قَاتِلٌ : هَذِهِ عِظَامُ أَهْلِ الْكُهْفِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَقَدْ بَلَيْتُ عِظَامَهُمْ مِنْ أَكْثَرِ مَنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَقَوْلُهُ " وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ " أَيُّ كَمَا أَرَقَدْنَاهُمْ وَأَيَّقُظْنَاهُمْ بِهِيَاتِهِمْ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ " لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ " أَيُّ فِي أَمْرٍ

الْقِيَامَةَ فَمِنْ مُنْتَبِتِ لَهَا وَمِنْ مُنْكَرِ فَجَعَلَ اللَّهُ ظُهُورَهُمْ عَلَى أَصْحَابِ الْكُهْفِ حُجَّةَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ " فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبِّهِمْ أَعْلَمَ بِهِمْ " أَيُّ سُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَ كَهْفِهِمْ وَذَرَوْهُمْ عَلَى حَالِهِمْ " قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا " حَكَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي الْقَائِلِينَ ذَلِكَ قَوْلَيْنِ " أَحَدُهُمَا " إِنَّهُمْ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ " وَالثَّانِي " أَهْلُ الشَّرِكِ مِنْهُمْ فَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنُّفُودِ وَلَكِنْ هَلْ هُمْ مَحْمُودُونَ أَمْ لَا ؟ فِيهِ نَظَرٌ لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " لَعَنَّ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ " يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا وَجَدَ قَبْرَ دَانِيَالِ فِي زَمَانِهِ بِالْعِرَاقِ أَمَرَ أَنْ يُخْفَى عَنِ النَّاسِ وَأَنْ تُدْفَنَ تِلْكَ الرَّقْعَةُ الَّتِي وَجَدَهَا عِنْدَهُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَلَاخِمِ وَغَيْرِهَا.

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي عِدَّةِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ فَحَكَى ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا قَائِلَ بِرَابِعٍ وَلَمَّا ضَعَفَ الْقَوْلَيْنِ الْأُولَيْنِ بِقَوْلِهِ " رَجْمًا بِالْغَيْبِ " أَيُّ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ كَمَنْ يَرْمِي إِلَى مَكَانٍ لَا يَعْرِفُهُ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُصِيبُ وَإِنْ أَصَابَ فَبِلَا قَصْدٍ ثُمَّ حَكَى الثَّلَاثِ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَوْ قَرَّرَهُ بِقَوْلِهِ " وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ " فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ . وَقَوْلُهُ " قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ " إِرْشَادٌ إِلَى أَنَّ الْأَحْسَنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذْ لَا أَحْتِيَاجَ إِلَى الْخَوْضِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بِلَا عِلْمٍ لَكِنْ إِذَا أَطْلَعْنَا عَلَى أَمْرٍ قَلْنَا بِهِ وَإِلَّا وَقَفْنَا وَقَوْلُهُ " مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ " أَيُّ مِنَ النَّاسِ . قَالَ قَتَادَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَتْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَانُوا سَبْعَةً وَكَذَا رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَنَا مِمَّنْ اسْتَتْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَقُولُ عِدَّتُهُمْ سَبْعَةٌ . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ سَمَّاكَ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ " مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ " قَالَ أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ كَانُوا سَبْعَةً فَهَذِهِ أَسَانِيدٌ صَحِيحَةٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعَةً وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا قَدَّمَنا . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَّارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : لَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ حَدَاثَةِ سَنِهِ وَضَحَّ الْوَرَقَ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَكَانُوا كَذَلِكَ لِيْلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ يَبْكُونَ وَيَسْتَعِيثُونَ بِاللَّهِ وَكَانُوا ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ : مَكْسَلَمِينَا وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ وَهُوَ الَّذِي كَلَّمَ الْمَلِكَ عَنْهُمْ وَيَمَلِيخَا وَمِرْطُونَسَ وَكِسْطُونَسَ وَبِيرُونَسَ وَدَنِيمُوسَ وَيَطْبُونَسَ وَقَالُوشَ هَكَذَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَمَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَإِنَّ الصَّحِيحَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعَةً وَهُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ شُعَيْبِ الْجُبَّائِيِّ أَنَّ اسْمَ كَلْبِهِمْ حَمْرَانٌ وَفِي تَسْمِيَتِهِمْ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَأَسْمَ كَلْبِهِمْ نَظَرَ فِي صِحَّتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ غَايِبَ ذَلِكَ مُتَلَقًى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى " فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا " أَيُّ سَهْلًا هِينًا فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ " وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا " أَيُّ فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا مَا يَقُولُونَهُ مِنْ تَلَقُّاءِ أَنْفُسِهِمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ أَيُّ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كَلَامِ مَعْصُومٍ وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدَ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيَّةَ فِيهِ فَهُوَ الْمُقَدَّمُ الْحَاكِمُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ الْكُتُبِ وَالْأَقْوَالِ .

وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً (23)

هَذَا إرشاد من الله تعالى لرسول الله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل
علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه
قال " قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية تسعين امرأة وفي رواية مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاماً
يقاتل في سبيل الله فقيل له - وفي رواية قال له الملك - قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف
إنسان فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته " وفي رواية " ولقاتلوا في سبيل الله
فُرساناً أجمعين " وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف " غداً
أجيبكم " فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنى عن إعادته.

إِذَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً (24)

وقوله " وادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ " قيل معناه إذا نسيت الاستثناء فاستثنى عند ذكرك له قاله أبو العالبيّة والحسن البصري وقال هشيم
عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يحلف قال له أن يستثني ولو إلى سنة وكان يقول " وادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ " : ذلك
قيل للأعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى ذهب كسائي هذا ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن
الأعمش به . ومعنى قول ابن عباس أنه يستثني ولو بعد سنة أي إذا نسي أن يقول في حلفه وفي كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد
سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون أتياً بسنة الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قال ابن جرير رحمه الله : ونص على ذلك لا أن
يكون رافعاً لحنث اليمين ومسقطاً للكفارة وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الأثيق بحمل كلام ابن عباس عليه
والله أعلم . وقال عكرمة " وادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ " إذا غضبت وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحارث الجبلي حدثنا صفوان بن
صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله " وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ
إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله وادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ " أن تقول إن شاء الله وروى الطبراني أيضاً عن ابن عباس في قوله " وادْكُرْ
رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ " الاستثناء فاستثنى إذا ذكرت وقال هي خاصة برسول الله ﷺ وليس لأحد منا أن يستثني إلا في صلة من يمينه ثم
قال : انضرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ويحتمل في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في
كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه من الشيطان كما قال فتى موسى " وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره " وذكر الله تعالى
يطرده الشيطان فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان فذكر الله سبب للذكر ولهذا قال " وادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ " وقوله " وَقُلْ عسى أن
يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً " أي إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد
في ذلك وقيل في تفسيره غير ذلك والله أعلم.

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا (25)

هَذَا خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِمِقْدَارِ مَا لَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ مِنْذُ أَرْقَدَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُمُ اللَّهُ وَأَعَثَرَ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الزَّمَانِ وَأَنَّهُ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ تَزِيدُ تِسْعَ سِنِينَ بِالْهَلَالِيَةِ وَهِيَ ثَلَاثِمِائَةُ سَنَةٍ بِالشَّمْسِيَةِ فَإِنْ تَفَاوَتْ مَا بَيْنَ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ بِالْقَمَرِيَّةِ إِلَى الشَّمْسِيَّةِ ثَلَاثَ سِنِينَ فَهَذَا قَالَ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا.

قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) وَقَوْلُهُ " قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا " أَي إِذَا سُنِّتَ عَنْ لُبْثِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ فِي ذَلِكَ وَتَوْقِيفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا تَتَقَدَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ بَلْ قُلْ فِي مِثْلِ هَذَا " اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " أَي لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ وَمَنْ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا هُ عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ كَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثِمِائَةَ سَنِينَ " الْآيَةَ هَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَدْ رَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ " قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا " قَالَ وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَالُوا وَلَبِثُوا يَعْنِي أَنَّهُ قَالَهُ النَّاسُ وَهَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَمُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَفِي هَذَا الَّذِي زَعَمَهُ قَتَادَةُ نَظَرَ فَإِنَّ الَّذِي بَأَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ لَبِثُوا ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ مِنْ غَيْرِ تِسْعَ يَعْنُونَ بِالشَّمْسِيَّةِ وَلَوْ كَانَ اللَّهُ قَدْ حَكَى قَوْلَهُمْ لَمَا قَالَ " وَأَزْدَادُوا تِسْعًا " وَالظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ لَا حِكَايَةَ عَنْهُمْ وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَوَايَةُ قَتَادَةَ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ مَنْقُوعَةٌ ثُمَّ هِيَ شَادَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ فَلَا يَحْتَاجُ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ " أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ " أَي أَنَّهُ لَبَّصِيرٌ بِهِمْ سَمِيعٌ لَهُمْ . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَذَلِكَ فِي مَعْنَى الْمِبَالِغَةِ فِي الْمَدْحِ كَأَنَّهُ قِيلَ مَا أَبْصَرَهُ وَاسْمَعَهُ وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ مَا أَبْصَرَ اللَّهُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ وَاسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . ثُمَّ رَوَى عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ " أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ " فَلَا أَحَدٌ أَبْصَرَ مِنَ اللَّهِ وَلَا أَسْمَعَ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ " أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ " يَرَى أَعْمَالَهُمْ وَيَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ سَمِيعًا بَصِيرًا . وَقَوْلُهُ " مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا " أَي أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَا مَعْصَبَ لِحُكْمِهِ وَلَيْسَ لَهُ وَزِيرٌ وَلَا نَصِيرٌ وَلَا شَرِيكَ وَلَا مُشِيرٌ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ .

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27)

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولُهُ ﷺ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَإِبْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ " لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ " أَي لَا مُغَيِّرَ لَهَا وَلَا مُحَرِّفَ وَلَا مُزِيلَ . وَقَوْلُهُ " وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا " عَنْ مُجَاهِدٍ مُلْتَحَدًا قَالَ مُلْجَأٌ وَعَنْ قَتَادَةَ وَلِيًّا وَلَا مَوْلَى قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : يَقُولُ إِنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَمْ تَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ فَإِنَّهُ لَا مُلْجَأَ لَكَ مِنَ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " وَقَالَ " إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ " أَي سَأَلْتُكَ عَمَّا فَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ إِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ . وَأَبْصَرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ أَعْظَمْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)

وَقَوْلُهُ " وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " أَي اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَهْلِلُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُكَبِّرُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ بِكُرَّةٍ وَعَشِيًّا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سِوَاهُ كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضِعْفَاءَ يُقَالُ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحَدَهُ وَلَا يَجَالِسَهُمْ بِضِعْفَاءَ أَصْحَابِهِ كِبَالًا وَعِمَارًا وَصَهِيْبًا وَخَبَابًا وَابْنَ مَسْعُودٍ وَلَيْفْرِدٍ أَوْلَيْكَ بِمَجْلِسٍ عَلَى حِدَةٍ فَتَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ " وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ " الْآيَةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ " وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ " الْآيَةَ.

وَقَالَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَطْرُدُ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرُونَ عَلَيْنَا قَالَ : وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ نَسِيَتْ إِسْمَيْهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " أَنْفَرْدًا بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ دُونَ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَاصٍ يَقْضِي فَاْمَسَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُصْ فَلَانَ أَقْعُدْ غَدُوَّةً إِلَى أَنْ تَشْرِقَ الشَّمْسُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ " وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ " لَأَنْ أَقْعُدَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَجْلِسِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ " قَالَ شُعْبَةُ فَقُلْتُ أَيَّ مَجْلِسٍ قَالَ كَانَ قَاصًا وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبَانَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَأَنْ أَجَالِسَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَلَأَنْ أَذْكَرَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ ثَمَانِيَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ دِيَّةً كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اثْنًا عَشَرَ أَلْفًا " فَحَسْبُنَا دِيَاتِهِمْ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ أَنَسٍ فَبَلَغَتْ سِتَّةَ وَتِسْعِينَ أَلْفًا وَهَاهُنَا مَنْ يَقُولُ أَرْبَعَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاللَّهُ مَا قَالَ إِلَّا ثَمَانِيَةَ دِيَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اثْنًا عَشَرَ أَلْفًا ، وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ عَنِ الْأَعْرَابِيِّ مُسْلِمٍ وَهُوَ الْكُوفِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ سَكَتَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " هَذَا الْمَجْلِسُ الَّذِي أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ " هَكَذَا رَوَاهُ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ عَمْرُو بْنِ ثَابِتٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ عَنِ الْأَعْرَابِيِّ مُرْسَلًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ قَالَا : جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْحَجِّ أَوْ سُورَةَ الْكَهْفِ فَسَكَتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْمَجْلِسُ الَّذِي أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمًا مَغْضُورًا لَكُمْ قَدْ بُدِلَتْ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ " تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنِيْفٍ قَالَ : نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَعْضِ أَبِيَاتِهِ " وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ " الْآيَةَ فَخَرَجَ يَلْتَمِسُهُمْ فَوَجَدَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُمْ ثَائِرُ الرَّأْسِ وَجَافُ الْجِلْدِ وَذُو الثُّوبِ الْوَاحِدِ فَلَمَّا رَأَاهُمْ جَلَسَ مَعَهُمْ وَقَالَ " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ " عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي

الصَّحَابَةَ وَأَمَّا أَبُوهُ فَمِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَوْلُهُ " وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَلَا تَجَاوِزُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ يَعْنِي تَطَلَّبُ بَدَلِهِمْ أَصْحَابَ الشَّرْفِ وَالثَّرْوَةِ " وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا " أَي شُغِلَ عَنِ الدِّينِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِ بِالدُّنْيَا " وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا " أَي أَعْمَالُهُ وَأَفْعَالُهُ سَفَهٌ وَتَفْرِيطٌ وَضِيَاعٌ وَلَا تَكُنْ مُطِيعًا لَهُ وَلَا مُحِبًّا لِطَرِيقَتِهِ وَلَا تَغِيبْهُ بِمَا هُوَ فِيهِ كَمَا قَالَ " وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ مِنْ خَيْرِ وَأَبْضَى . "

وَقَالَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ " هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَلِهَذَا قَالَ " إِنَّا أَعْتَدْنَا " أَي أَرَصَدْنَا " لِلظَّالِمِينَ " وَهُمْ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ " نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " أَي سُورُهَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ حَدَّثَنَا دَرَّاجٌ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةٌ جُدْرٌ كَثَافَةٌ كُلُّ جِدَارٍ مَسَافَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً " وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ النَّارِ وَابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ دَرَّاجِ أَبِي السَّمْحِ بِهِ . وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ " أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " قَالَ حَاتِطٌ مِنْ نَارٍ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرٍ وَالْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى عَنْ يَحْيَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ " قَالَ فَكَيْفَ لَهُ كَيْفَ ذَلِكَ ؟ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ أَوْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ " نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " ثُمَّ قَالَ " وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُهَا أَبَدًا أَوْ مَا دُمْتُ حَيًّا لَا تُصِيبُنِي مِنْهَا قِطْرَةٌ " وَقَوْلُهُ " وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ " الْآيَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْمُهْلُ الْمَاءُ الْغَلِيظُ مِثْلُ دُرْدِي الزَّيْتِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ كَالدَّمَ وَالْقَيْحُ وَقَالَ عِكْرِمَةُ : هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي انْتَهَى حَرُّهُ وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ كُلُّ شَيْءٍ أَذِيبُ .

وَقَالَ قَتَادَةُ : أَذَابَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ فِي أَحْدُودٍ فَلَمَّا انْمَاعَ وَأَزْبَدَ قَالَ : هَذَا أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمُهْلِ وَقَالَ الضَّحَّاكُ : مَاءٌ جَهَنَّمِ أَسْوَدٌ وَهِيَ سَوْدَاءٌ وَأَهْلُهَا سُودٌ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يَنْضِي الْأَخْرَفَانَ الْمُهْلُ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ الرَّذِيلَةَ كُلَّهَا فَهُوَ أَسْوَدٌ مُنْتَنٌ غَلِيظٌ حَارٌّ وَلِهَذَا قَالَ " يَشْوِي الْوُجُوهُ " أَي مِنْ حَرِّهِ إِذَا أَرَادَ الْكَافِرُ أَنْ يَشْرِبَهُ وَقَرِيبَهُ مِنْ وَجْهِهِ شَوَاهُ حَتَّى تَسْقُطَ جِلْدُهُ وَجْهَهُ فِيهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَقَدِّمِ فِي سُرَادِقِ النَّارِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " مَاءٌ كَالْمُهْلِ " قَالَ كَعْبَرُ الزَّيْتِ فَإِذَا قَرِيبَهُ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فُرُورَةٌ وَجْهَهُ فِيهِ وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ النَّارِ مِنْ جَامِعِهِ مِنْ حَدِيثِ رَشْدِينَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ دَرَّاجِ بِهِ ثُمَّ قَالَ : لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ رَشْدِينَ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ حَفِظِهِ هَكَذَا قَالَ , وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ حَسَنِ الْأَشْبِيِّ عَنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ عَنْ دَرَّاجٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَبَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ " وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ " قَالَ " يَقْرَبُ إِلَيْهِ فَيَتَكْرَهُهُ "

فَإِذَا قَرَّبَ مِنْهُ شَوْىَ وَوَقَعَتْ فَرُودَةٌ رَأْسَهُ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى " وَإِنْ يَسْتَعْبِثُوا بِغَاثُوا بِمَاءِ كَالْمَهْلِ يَشْوِي
 الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ " وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : إِذَا جَاعَ أَهْلُ النَّارِ اسْتَعَاثُوا فَأَغْبِثُوا بِشَجَرَةِ الزَّقُومِ فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا فَاخْتَلَبَتْ جُلُودُ
 وَجُوهُهُمْ فَلَوْ أَنَّ مَرَأً مَرَّبَهُمْ يَعْرِفُهُمْ لَعَرَفَ جُلُودَ وَجُوهُهُمْ فِيهَا ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فَيَسْتَعْبِثُونَ فَيُغَاثُونَ بِمَاءِ كَالْمَهْلِ وَهُوَ الَّذِي
 قَدْ انْتَهَى حَرَّهُ فَإِذَا أَدْنُوهُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ اسْتَوَى مِنْ حَرِّهِ لِحُومِ وَجُوهِهِمُ الَّتِي قَدْ سَقَطَتْ عَنْهَا الْجُلُودُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ وَصْفِهِ هَذَا
 الشَّرَابَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الْقَبِيحَةِ " بئسَ الشَّرَابُ " أَيُ بئسَ هَذَا الشَّرَابُ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى " وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
 أَمْعَاءَهُمْ " وَقَالَ تَعَالَى " تَسْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ " أَيُ حَارَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَبَيْنَ حَمِيمِ أَنْ " " وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا " أَيُ وَسَاءَتْ النَّارُ مَنْزِلًا
 وَمَقِيلًا وَمَجْتَمَعًا وَمَوْضِعًا لِلارْتِفَاقِ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى " إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا . "

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30)

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ ثَنَّى بِذِكْرِ السُّعْدَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ
 الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَالْعَدْنُ الْإِقَامَةُ.

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ
 فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ " أَيُ مِنْ تَحْتِ غُرْفِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ . قَالَ فِرْعَوْنُ " وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي " الْآيَةُ " يُحَلَّوْنَ " أَيُ مِنْ الْحَلِيَّةِ
 " فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ " وَقَالَ فِي الْمَكَانِ الْآخَرَ " وَلَوْثُوا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ " وَفَصَّلَهُ هَاهُنَا فَقَالَ " وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ

سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ " فَالسُّنْدُسُ ثِيَابٌ رِفَاعٌ رِقَاقٌ كَالْقَمِصَانِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا . وَأَمَّا الْإِسْتَبْرَقُ فَعَلِيظُ الدِّيَبَاجِ وَفِيهِ بَرِيقٌ وَقَوْلُهُ " مُتَّكِنِينَ
 فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ " الْإِتِّكَاءُ قَيْلُ الْإِضْطِجَاعِ وَقَيْلُ التَّرْبِيعِ فِي الْجُلُوسِ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمُرَادِ هَاهُنَا وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ " أَمَا أَنَا فَلَا أَكُلُ

مُتَّكِنًا " فِيهِ الْقَوْلَانِ . وَالْأَرَائِكُ جَمْعُ أَرِيكَةٍ وَهِيَ السَّرِيرُ تَحْتِ الْحَجَلَةِ وَالْحَجَلَةُ كَمَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِالْبَشْخَانَةِ وَاللَّهِ
 أَعْلَمُ . قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ عَنْ قَتَادَةَ " عَلَى الْأَرَائِكِ " قَالَ هِيَ الْحِجَالُ قَالَ مَعْمَرٌ وَقَالَ غَيْرُهُ السَّرِيرُ فِي الْحِجَالِ . وَقَوْلُهُ "

نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا " أَيُ نِعْمَتِ الْجَنَّةِ ثَوَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا أَيُ حَسُنَتْ مَنْزِلًا وَمَقِيلًا وَمَقَامًا كَمَا قَالَ فِي النَّارِ
 بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا " وَهَكَذَا قَابِلٌ بَيْنَهُمَا فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ فِي قَوْلِهِ " إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا " ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

فَقَالَ " أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا . "

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (32)

يَقُولُ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ مُجَالَسَةِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَافْتَحَرُوا عَلَيْهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ
 فَضْرَبَ لَهُمْ وَلَهُمْ مَثَلًا بِرَجُلَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ أَيُ بُسْتَانَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ مَحْفُوفَتَيْنِ بِالنَّخْلِ الْمُحْدَقَةِ فِي جَنَبَاتِهِمَا وَفِي

خِلَاهُمَا الزُّرُوعَ وَكُلَّ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعَ مُتَمِرٍ مُقْبِلٍ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ.

كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلَمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا (33)

وَلِهَذَا قَالَ : " كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا " أَيُ أَخْرَجَتْ ثَمَرَهَا " وَلَمْ تَظْلَمِ مِنْهُ شَيْئًا " أَيُ وَلَمْ تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئًا " وَفَجَرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا " أَيُ وَالنَّهَارَ مُتَفَرِّقَةً فِيهِمَا هَاهُنَا وَهَاهُنَا.

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا (34)

" وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ " قِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الْمَالُ رُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَقَيْلَ الثَّمَارِ وَهُوَ أَظْهَرَ هَاهُنَا وَيُؤَيِّدُهُ الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى " وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ " بِضَمِّ الثَّاءِ وَتَسْكِينِ الْمِيمِ فَيَكُونُ جَمْعُ ثَمْرَةٍ كَحَشْبَةِ وَخَشْبٍ . وَقَرَأَ آخَرُونَ ثَمَرَ بِيَفْتَحِ الثَّاءِ وَالْمِيمِ فَقَالَ أَيُ صَاحِبِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَيُ يُجَادِلُهُ وَيُخَاصِمُهُ يَفْتَخِرُ عَلَيْهِ وَيَتَرَأَسُ " أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا " أَيُ أَكْثَرَ خَدَمًا وَحَشَمًا وَوَلَدًا قَالَ قَتَادَةُ تِلْكَ وَاللَّهُ أَمْنِيَّةُ الْفَاجِرِ كَثْرَةُ الْمَالِ وَعِزَّةُ النَّفْرِ.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35)

وَقَوْلُهُ " وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ " أَيُ بِكُفْرِهِ وَتَمَرُّدِهِ أَيُ بِكُفْرِهِ وَتَمَرُّدِهِ وَتَكْبَرِهِ وَتَجَبُّرِهِ وَإِنْكَارِهِ الْمَعَادِ قَالَ " مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا " وَذَلِكَ اغْتِرَارٌ مِنْهُ لِمَا رَأَى فِيهَا مِنَ الزُّرُوعِ وَالثَّمَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالنَّهَارِ الْمَطْرُودَةِ فِي جَوَانِبِهَا وَأَرْجَائِهَا ظَنَّ أَنَّهَا لَا تَضْنَى وَلَا تَفْرُغُ وَلَا تَهْلِكُ وَلَا تَتَلَفُ وَذَلِكَ لِقَلَّةِ عَقْلِهِ وَضَعْفِ يَقِينِهِ بِاللَّهِ وَإِعْجَابِهِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَكُفْرِهِ بِالْآخِرَةِ.

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36)

وَلِهَذَا قَالَ " وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً " أَيُ كَائِنَةً " وَلَئِن رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا " أَيُ وَلَئِن كَانَ مَعَادٌ وَرَجْعَةٌ وَمَرَدٌ إِلَى اللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِي هُنَاكَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْحِظِّ عِنْدَ رَبِّي وَلَوْ لَا كِرَامَتِي عَلَيْهِ مَا أَعْطَانِي هَذَا كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى " وَلَئِن رُجِعْتَ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى " وَقَالَ " أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا " أَيُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ تَأْتِي عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلٌّ . وَكَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الثِّقَّةُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (37)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا أَجَابَهُ بِهِ صَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ وَأَعْظَمًا لَهُ وَزَاجِرًا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالْإِغْتِرَارِ " أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ " الْآيَةُ وَهَذَا إِنْكَارٌ وَتَعْظِيمٌ لِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ جُحُودِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ وَهُوَ آدَمٌ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ " الْآيَةُ أَيُ كَيْفَ تَجْحَدُونَ رَبِّكُمْ وَدَلَّالْتَهُ عَلَيْكُمْ ظَاهِرَةً جَلِيَّةً كُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُهَا مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَعْدُومًا ثُمَّ وَجِدَ وَلَيْسَ وَجُودُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مُسْتَنْدًا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّهُ بِمِثَابَتِهِ فَعُلِمَ إِسْنَادُ إِيجَادِهِ إِلَى خَالِقِهِ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَلِهَذَا قَالَ الْمُؤْمِنُ.

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38)

"لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي" أَي لَكِنَّا أَنَا لَا أَقُولُ بِمَقَالَتِكَ بَلْ أَعْتَرَفَ لِلَّهِ بِالنُّوحِدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ " وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا " أَي بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَعْبُودُ وَحُدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39)

ثُمَّ قَالَ " وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا " هَذَا تَحْضِيضٌ وَحَثٌّ عَلَى ذَلِكَ أَي هَلَّا إِذَا أَعْجَبْتِكَ حِينَ دَخَلْتَهَا وَنَظَرْتَ إِلَيْهَا حَمَدْتَ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَأَعْطَاكَ مِنَ الْمَالِ أَوْ الْوَلَدِ مَا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرُكَ وَقُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ حَالِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَدَّهِ فَلْيَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَهَذَا مَا خُوذَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَقَدْ رُوِيَ فِيهِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ فِي مُسْتَدَهٍ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَيُرَى فِيهِ آفَةٌ دُونَ الْمَوْتِ " وَكَانَ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ " وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفَتْحِ الْأَزْدِيُّ عِيْسَى بْنُ عَوْنٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زُرَّارَةَ عَنْ أَنَسٍ لَا يَصِحُّ حَدِيثُهُ . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ تَحْتَ الْعَرْشِ " ؟ قَالَ قُلْتُ فِدَاكَ أَبِي وَآمِي قَالَ " أَنْ تَقُولَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " قَالَ أَبُو بَلْجٍ وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ " فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ " قَالَ فَقُلْتُ لِعَمْرٍو قَالَ أَبُو بَلْجٍ قَالَ عَمْرٍو قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لَا إِنَّهَا فِي سُورَةِ الْكَهْفِ " وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . "

فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (40)

وَقَوْلُهُ : " فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ " أَي فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ " وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا " أَي عَلَى جَنَّتِكَ فِي الدُّنْيَا الَّتِي ظَنَنْتَ أَنَّهَا لَا تَبِيدُ وَلَا تَفْنَى " حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَمَالِكٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَي عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَطَرٌ عَظِيمٌ مُزْعَجٌ يُقْلَعُ زَرْعَهَا وَأَشْجَارَهَا وَلِهَذَا قَالَ " فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا " أَي بَلْقَعًا تَرَابًا أَمْلَسَ لَا يَثْبُتُ فِيهِ قَدَمٌ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَالْجُرْزُ الَّذِي لَا يُنْبِتُ شَيْئًا .

أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)

" وَقَوْلُهُ : " أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَهَا غَوْرًا " أَي غَائِرًا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ ضِدُّ النَّابِعِ الَّذِي يَطْلُبُ وَجْهَ الْأَرْضِ فَالْغَائِرُ يَطْلُبُ أَسْفَلَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ " أَي جَارٍ وَسَائِجٍ وَقَالَ هَاهُنَا " أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا "

وَالْعُورُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى غَائِرٍ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : تَظَلَّ جِيَادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ ... تَقَلَّدَهُ أُعْنَتَهَا صُفُوفًا بِمَعْنَى نَائِحَاتٍ عَلَيْهِ .

وَأَحْيَطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفْيِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)

يَقُولُ تَعَالَى " وَأَحْيَطَ بِثَمَرِهِ " بِأَمْوَالِهِ أَوْ بِثَمَارِهِ عَلَى الْقَوْلِ الْآخِرِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ وَقَعَ بِهَذَا الْكَافِرِ مَا كَانَ يَحْذَرُ مِمَّا خُوفَهُ بِهِ الْمُؤْمِنُ

مِنْ إِرْسَالِ الْحُسْبَانِ عَلَى جَنَّتِهِ الَّتِي اغْتَرَبَهَا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفْيِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا " وَقَالَ قَتَادَةُ يُصَفِّقُ

كَفْيِهِ مُتَّسِفًا مُتَلَهِّفًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي أَذْهَبَهَا عَلَيْهَا " وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا .

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (43)

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ " أَي عَشِيرَةٌ أَوْ وَدَدٌ كَمَا افْتَحَرَ بِهِمْ وَاسْتَعَزَّ " يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةَ لِلَّهِ الْحَقِّ " اِخْتَلَفَ

الْقُرَاءُ هَاهُنَا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى قَوْلِهِ " وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ " أَي فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ الَّذِي حَلَّ بِهِ عَذَابُ اللَّهِ فَلَا مُنْقِذَ لَهُ مِنْهُ .

هُنَالِكَ الْوَلَايَةَ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)

وَيَبْتَدئُ بِقَوْلِهِ : " الْوَلَايَةَ لِلَّهِ الْحَقِّ " وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى " وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا " وَيَبْتَدئُ بِقَوْلِهِ " هُنَالِكَ الْوَلَايَةَ لِلَّهِ الْحَقِّ " ثُمَّ اِخْتَلَفُوا

فِي قِرَاءَةِ الْوَلَايَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ فَتَحَ الْوَاوَ مِنَ الْوَلَايَةِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى هُنَالِكَ الْمَوَالَاةُ لِلَّهِ أَي هُنَالِكَ كُلُّ أَحَدٍ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ

وَالَى مَوَالَاتِهِ وَالْخُضُوعَ لَهُ إِذَا وَقَعَ الْعَذَابُ كَقَوْلِهِ " فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ " وَكَقَوْلِهِ إِخْبَارًا

عَنْ فِرْعَوْنَ " حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغُرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلَا نَاقَةَ اللَّهِ وَقَدْ صَبَّتْ قَبْلَ وَكُنْتَ

مِنَ الْمُفْسِدِينَ " وَمِنْهُمْ مَنْ كَسَرَ الْوَاوَ مِنَ الْوَلَايَةِ أَي هُنَالِكَ الْحُكْمُ لِلَّهِ الْحَقِّ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ رَفَعَ الْحَقَّ عَلَى أَنَّهُ نَعَتٌ لِلْوَلَايَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى

" الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا " وَمِنْهُمْ مَنْ خَفَضَ الْقَافَ عَلَى أَنَّهُ نَعَتٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَقَوْلِهِ : " ثُمَّ رُدُّوا

إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ " الْآيَةُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا " أَي جَزَاءً " وَخَيْرٌ عُقْبًا " أَي الْأَعْمَالِ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابَهَا

خَيْرٌ وَعَاقِبَتَهَا حَمِيدَةٌ رَشِيدَةٌ كُلُّهَا خَيْرٌ .

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

مُقْتَدِرًا (45)

يَقُولُ تَعَالَى " وَأَضْرَبَ " يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي زَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَانْقِضَائِهَا " كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

الْأَرْضِ " أَي مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ فَشَبَّ وَحَسُنَ وَعَلَاهُ الزَّهْرُ وَالنُّورُ وَالنُّصْرَةُ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلُّهُ " أَصْبَحَ هَشِيمًا " يَابِسًا " تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ " أَي

تَضْرِبُهُ وَتَطْرَحُهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ " وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا " أَي هُوَ قَادِرٌ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَهَذِهِ الْحَالِ وَكَثِيرًا مَا

يَضْرِبُ اللَّهُ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِهَذَا الْمَثَلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُونُسَ " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ " الْآيَةُ وَقَالَ فِي الزُّمَرِ " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ

زَرَعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ " الْآيَةَ وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ " اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ " الْآيَةَ وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ " الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ. "

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)

وَقَوْلُهُ : " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " كَقَوْلِهِ : زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ

الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى : " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ " أَيِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالتَّفَرُّغِ لِعِبَادَتِهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ اِشْتِغَالِكُمْ بِهِمْ

وَالْجَمْعُ لَهُمْ وَالشَّفَقَةُ الْمُرْطَبَةُ عَلَيْهِمْ وَلِهَذَا قَالَ " وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ

جُبَيْرٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ : الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ :

الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَهَكَذَا سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ عَنِ الْبَاقِيَاتِ

الصَّالِحَاتِ مَا هِيَ ؟ فَقَالَ : هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . رَوَاهُ الْإِمَامُ

أَحْمَدُ قَالَ الْحَارِثُ مَوْلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : جَلَسَ عُثْمَانُ يَوْمًا وَجَلَسْنَا مَعَهُ فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِثْنَاءِ أَظْنَهُ سَيَكُونُ

فِيهِ مَدٌّ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَالَ " مَنْ تَوَضَّأَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ غُضِرَ لَهُ مَا

كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُضِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَصْرِ ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ

غُضِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ ثُمَّ لَعَلَّهُ يَبِيتُ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ غُضِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَهُنَّ

الْحَسَنَاتُ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتُ " قَالُوا هَذِهِ الْحَسَنَاتُ فَمَا الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ يَا عُثْمَانُ ؟ قَالَ : هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . تَفَرَّدَ بِهِ وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيَّادٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ :

الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ عَنْ عُمَارَةَ قَالَ : سَأَلَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ فَقُلْتُ : الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ فَقَالَ : لَمْ تُصِبْ

فَقُلْتُ الزَّكَاةَ وَالْحَجَّ فَقَالَ لَمْ تُصِبْ وَلَكِنَّهُنَّ الْكَلِمَاتُ الْخَمْسُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَيْثَمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ سَرِجِسٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قَالَ

: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ مِثْلَ ذَلِكَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ :

الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : "

وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ " قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَجَدْتُ فِي

كِتَابِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارِ عَنْ أَبِي نَصْرٍ التَّمَّارِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ " هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ قَالَ : وَحَدَّثَنِي

يُونُسَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ دَرَجًا أَبَا السَّمْحِ حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ " قِيلَ وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ " قَالَ الْمَلَّةُ " قِيلَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ " التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " وَهَكَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ دَرَجٍ بِهِ .

قَالَ وَهْبٌ أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُ قَالَ : أُرْسَلَنِي سَالِمٌ إِلَيَّ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ فِي حَاجَةٍ فَقَالَ : قُلْ لَهُ الْقِنِيَّ عِنْدَ زَاوِيَةِ الْقَبْرِ فَإِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ : فَاتَّقِيَا فَسَلِّمَا أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخِرِ ثُمَّ قَالَ سَالِمٌ مَا تَعُدُّ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ؟ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : مَتَى جَعَلْتِ فِيهَا لَنَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ؟ قَالَ : مَا زِلْتُ أَجْعَلُهَا قَالَ فَرَجَعَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَلَمْ يَنْزِعْ قَالَ فَأَبَيْتُ ؟ قَالَ سَالِمٌ أَجَلُ فَأَبَيْتُ فَإِنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ يَقُولُ : " عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ فَرَحِبْ بِي وَسَلِّمْ ثُمَّ قَالَ مَرُّ أُمَّتِكَ فَلْتَكْثِرْ مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تَرْبِيَّتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ فَقُلْتُ وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ الْعَوَامِ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ آلِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ حَفِضَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ ثُمَّ قَالَ : " أَمَا أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيُظْلِمُونَ فَمَنْ صَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُمَالِنْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ أَلَا وَإِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ هُنَّ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ " . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا أَبَانُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ زَيْدٍ عَنْ أَبِي سَلَامٍ عَنْ مَوْلَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " بَخْ بَخْ لِحُمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْوَدُّ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ - وَقَالَ - بَخْ بَخْ لِحُمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ : يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْجَنَّةِ وَبِالنَّارِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْحِسَابِ . "

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا رُوْحٌ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةٍ قَالَ : كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ فَتَزَلَّ مَنْرًا فَقَالَ لِعِلامِهِ : اتَّيْنَا بِالشَّفْرَةِ نَعْبَثُ بِهَا فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ فَقَالَ مَا تَكَلَّمْتَ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتَ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا وَأَزْمُهَا غَيْرَ كَلِمَتِي هَذِهِ فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ وَاحْفَظُوهَا مَا أَقُولُ لَكُمْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَانْكَبُوا أَنْتُمْ هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ " ثُمَّ رَوَاهُ أَيْضًا النَّسَائِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ حَوْهِ وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاجِيَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ يُونُسَ بْنِ نُسَيْبِ بْنِ الْجَدَلِيِّ عَنْ سَعْدِ بْنِ جُنَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ فِي أَوَّلِ مَنْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الطَّنَافِ فَخَرَجْتُ

مِنْ أَعْلَى الطَّائِفِ مِنَ السَّرَاةِ غُدُوَّةً فَأَتَيْتَ مِنِّي عِنْدَ الْعَصْرِ فَتَصَاعَدْتَ فِي الْجَبَلِ ثُمَّ هَبَطْتَ فَأَتَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمْتَ وَعَلَّمَنِي " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " وَ " إِذَا زُلْزِلَتْ " وَعَلَّمَنِي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَقَالَ " هُنَّ الْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ " وَبِهَذَا الْإِسْنَادُ " مَنْ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأَ وَمَضْمَضَ فَاهُ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ إِلَّا الدَّمَاءَ فَإِنَّهَا لَا تَبْطُلُ " وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ : " وَالْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ " قَالَ : هِيَ ذِكْرُ اللَّهِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَتَبَارَكَ اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَتَقِ وَالْجِهَادِ وَالصَّلَةِ وَجَمِيعِ أَعْمَالِ الْحَسَنَاتِ وَهُنَّ الْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ الَّتِي تَبْقَى لِأَهْلِهَا فِي الْجَنَّةِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . وَقَالَ الْعُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : هِيَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ كُلُّهَا وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47)

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : " يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا " أَي تَذْهَبُ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَتَزُولُ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ " وَقَالَ تَعَالَى " وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ " وَقَالَ " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا " يَذُكُرُ تَعَالَى بِأَنَّهُ تَذْهَبُ الْجِبَالُ وَتَتَسَاوَى الْمَهَادُ وَتَبْقَى الْأَرْضُ قَاعًا صَفْصَفًا أَي سَطْحًا مُسْتَوِيًا لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا أَمْتًا أَي لَا وَادِي وَلَا جَبَلٍ وَكَهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " أَي بَادِيَةً ظَاهِرَةً لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ وَلَا مَكَانٌ يُؤَارِي أَحَدًا بَلْ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ضَاخُونَ لِرَبِّهِمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ . قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ " وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " لَا حَجَرَ فِيهَا وَلَا غِيَابَةَ قَالَ قَتَادَةُ : لَا بِنَاءَ وَلَا شَجَرَ وَقَوْلُهُ " وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا " أَي وَجَمَعْنَاهُمْ الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالْآخِرِينَ فَلَمْ نَتْرِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا لَا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا كَمَا قَالَ " قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ " وَقَالَ " ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ . "

وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48)

وَقَوْلُهُ " وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا " يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنْ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ صَفًّا وَاحِدًا كَمَا قَالَ تَعَالَى " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ صُفُوفًا صُفُوفًا كَمَا قَالَ " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " وَقَوْلُهُ " لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " هَذَا تَضْرِيحٌ لِلْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ وَكَهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُمْ " بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا " أَي مَا كَانَ ظَنُّكُمْ أَنْ هَذَا وَقَعَ بِكُمْ وَلَا أَنْ هَذَا كَانَتْ .

وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا

عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)

وقوله " ووضِعَ الْكِتَابُ " أي كِتَابُ الْأَعْمَالِ الَّذِي فِيهِ الْجَلِيلُ وَالْحَقِيرُ وَالْفَتِيلُ وَالْقَطْمِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ " فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ " أي مِنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا أَي يَا حَسْرَتَنَا وَيَوْلِنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِي أَعْمَارِنَا " مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا " أَي لَا يَتْرُكُ ذَنْبًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا وَلَا عَمَلًا وَإِنْ صَغُرَ إِلَّا أَحْصَاهَا أَي ضَبَطَهَا وَحَفِظَهَا . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَقَدِّمِ فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا إِلَى سَعْدِ بْنِ جُنَادَةَ قَالَ : لَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ نَزَلْنَا قَفْرًا مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " اِجْمَعُوا مَنْ وَجَدَ عَوْدًا فَلْيَأْتِ بِهِ وَمَنْ وَجَدَ حَطْبًا أَوْ شَيْئًا فَلْيَأْتِ بِهِ " قَالَ فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى جَعَلْنَاهُ رُكُومًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " أَنْتَرُونَ هَذَا ؟ فَكَذَلِكَ تَجْمَعُ الذُّنُوبَ عَلَى الرَّجُلِ مِنْكُمْ كَمَا جَمَعْتُمْ هَذَا فَلْيَتَّقِ اللَّهُ رَجُلٌ وَلَا يُدْنِبُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً فَإِنَّهَا مُحْصَاةٌ عَلَيْهِ . "

وقوله " وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا " أَي مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّكَمَا قَالَ تَعَالَى " يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا " الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى " يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ " وَقَالَ تَعَالَى " يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ " أَي تَظْهَرُ الْمُخْبَيَاتُ وَالضَّمَائِرُ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " لِكُلِّ غَادِرٍ لَوْاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ " أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَفِي لَفْظٍ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوْاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِنَاةِ بَقْدَرِ غَدْرَتِهِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ " وَقَوْلُهُ " وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " أَي فَيَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بَلْ يَعْضُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ وَيَرْحَمُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلُهُ وَيَمْلَأُ النَّارَ مِنَ الْكُفَّارِ وَأَصْحَابِ الْمَعَاصِي ثُمَّ يُنَجِّي أَصْحَابَ الْمَعَاصِي وَيُخَلِّدُ فِيهَا الْكَافِرِينَ وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ قَالَ تَعَالَى " إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا " الْآيَةُ وَقَالَ " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا - إِلَى قَوْلِهِ - حَاسِبِينَ " وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَكِّيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلًا فَسَرَتْ عَلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ قُلْ لَهُ جَابِرُ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ : قُلْتُ نَعَمْ فَخَرَجَ يَطَّأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ فَقُلْتُ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ فَخَشَيْتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " يَحْشُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ الْعِبَادِ - عُرَاةً غُرُلًا بَعْضُهُمْ ؟ قَالَ " لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ثُمَّ يَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْضِيَهُ مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ أَهْلِ النَّارِ حَقٌّ حَتَّى أَقْضِيَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ قَالَ : قُلْنَا كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا بَعْضُهُمْ ؟ قَالَ " بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ " وَعَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ مَزَاحِمٍ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِنَّ الْجَمَاءَ لَتَقْتَصَّ مِنَ الْقُرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وُجُوهِ آخَرٍ وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا عِنْدَ قَوْلِهِ

تَعَالَى " وَنَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا " وَعِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى " إِنَّا أُمَّمٌ أُمَّتَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ. "

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)

يَقُولُ تَعَالَى مُنْبَهَا بَنِي آدَمَ عَلَىٰ عِدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ وَلِبَائِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَقْرَعًا لِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ وَخَالَفَ خَالِقَهُ وَمَوْلَاهُ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُ وَابْتَدَأَهُ وَيَأْتِيهِ رِزْقُهُ وَغِذَاهُ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلَّهُ وَالَىٰ إِبْلِيسَ وَعَادَىٰ اللَّهُ فَقَالَ تَعَالَى " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ " أَي لَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا تَقَدَّمَ

تَقْرِيرُهُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ " اسْجُدُوا لِآدَمَ " أَي سَجُودَ تَشْرِيْفٍ وَتَكْرِيْمٍ وَتَعْظِيمٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ " وَقَوْلُهُ " فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ "

أَي خَانَهُ أَصْلُهُ فَإِنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَأَصْلُ خُلُقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورٍ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ فَعِنْدَ الْحَاجَةِ نَضَحَ كُلُّ وَعَاءٍ بِمَا فِيهِ

وَخَانَهُ الطَّبَعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّمُ بِأَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ وَتَعَبَّدَ وَتَنَسَّكَ فَهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ وَعَصَىٰ بِالْمُخَالَفَةِ " وَنَبَّهَ تَعَالَىٰ هَاهُنَا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ أَي عَلَىٰ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ نَارٍ كَمَا قَالَ " أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ "

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : مَا كَانَ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ وَإِنَّهُ لِأَصْلُ الْجِنِّ كَمَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْلُ الْبَشَرِ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَانَ إِبْلِيسَ مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ خَلِقُوا مِنْ نَارِ السَّمُومِ مِنْ

بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ وَكَانَ اسْمُهُ الْحَارِثُ وَكَانَ خَازِنًا مِنْ خَزَانِ الْجَنَّةِ وَخُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ غَيْرِ هَذَا الْحَيِّ قَالَ : وَخُلِقَتْ الْجِنُّ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَهُوَ لِسَانَ النَّارِ الَّذِي يَكُونُ فِي طَرْفِهَا إِذَا انْتَهَبَتْ وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَانَ إِبْلِيسَ مِنْ أَشْرَفِ

الْمَلَائِكَةِ وَأَكْرَمِهِمْ قَبِيلَةً وَكَانَ خَازِنًا عَلَى الْجِنَانِ وَكَانَ لَهُ سُلْطَانُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَسُلْطَانُ الْأَرْضِ وَكَانَ مِمَّا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ أَنَّهُ رَأَىٰ أَنْ لَهُ بِذَلِكَ شَرْفًا عَلَىٰ أَهْلِ السَّمَاءِ فَوَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ كِبَرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَخْرَجَ اللَّهُ ذَلِكَ الْكِبَرُ مِنْهُ حِينَ أَمَرَهُ

بِالسُّجُودِ لِآدَمَ " فَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ " كَانَ مِنَ الْجِنِّ " أَي مِنَ خَزَانِ الْجِنَانِ كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ مَكِّيٌّ وَمَدَنِيٌّ وَبَصْرِيٌّ وَكُوفِيٌّ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَ ذَلِكَ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : هُوَ مِنْ خَزَانِ الْجَنَّةِ وَكَانَ يَدْبِرُ أَمْرَ

السَّمَاءِ الدُّنْيَا

رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ إِبْلِيسَ قَبْلَ أَنْ يَرْكَبَ الْمُعْصِيَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ اسْمُهُ عَزَائِيلُ وَكَانَ مِنْ سُكَّانِ الْأَرْضِ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمَلَائِكَةِ اجْتِهَادًا وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا فَذَلِكَ دَعَاهُ إِلَى الْكِبَرِ وَكَانَ مِنْ حَيٍّ يُسَمُّونَ جِنًّا.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ وَشَرِيكَ بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : إِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلَةَ مِنَ الْجِنِّ وَكَانَ إبْلِيسَ مِنْهَا وَكَانَ يَسُوسُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَعَصَى فَسَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَمَسَخَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا لَعَنَهُ اللَّهُ مَمْسُوحًا قَالَ : وَإِذَا كَانَتْ حَظِيئَةُ الرَّجُلِ فِي كِبَرٍ فَلَا تَرَجُّهُ وَإِذَا كَانَتْ فِي مَعْصِيَةِ فَارْجُهُ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ مِنَ الْجَنَانِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْجَنَّةِ وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ وَغَالِبُهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّاتِ الَّتِي تَنْقَلُ لِيُنظَرَ فِيهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهَا وَمِنْهَا مَا قَدْ يَقْطَعُ بِكَذِبِهِ لِمُخَالَفَتِهِ الْحَقَّ الَّذِي بَأْيَدِينَا وَفِي الْقُرْآنِ غَنِيَّةٌ عَنِ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ تَبْدِيلٍ وَزِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ وَقَدْ وُضِعَ فِيهَا أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْحِفَاطِ الْمُتَقَنِّينَ الَّذِينَ يَنْفُونَ عَنْهَا تَحْرِيفَ الْغَالِبِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطَلِينَ كَمَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْأَثَمَةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالسَّادَةِ وَالْأَنْتَقِيَاءِ وَالْبُرَرَةِ وَالنُّجَبَاءِ مِنَ الْجَهَابِذَةِ النَّقَادِ وَالْحِفَاطِ الْجِيَادِ الَّذِينَ دُونُوا الْحَدِيثَ وَحَرَّرُوهُ وَبَيَّنُّوا صَحِيحَهُ مِنْ حَسَنِهِ مِنْ ضَعِيفِهِ مِنْ مُنْكَرِهِ وَمَوْضُوعِهِ وَمَتْرُوكِهِ وَمَكْذُوبِهِ وَعَرَفُوا الْوَضَاعِينَ وَالْكَذَابِينَ وَالْمَجْهُولِينَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الرِّجَالِ كُلِّ ذَلِكَ صِيَانَةٌ لِلْجَنَابِ النَّبَوِيِّ وَالْمَقَامِ الْمُحَمَّدِيِّ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَسَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ أَنْ يَنْسَبَ إِلَيْهِ كَذِبٌ أَوْ يُحَدِّثُ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَجَعَلَ جَنَاتِ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُمْ وَقَدْ فَعَلَ وَقَوْلُهُ " فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِيهِ " أَي فَخَرَجَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ فَإِنَّ الْفِسْقَ هُوَ الْخُرُوجُ يُقَالُ فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَكْمَامِهَا وَفَسَقَتِ الْفَأْرَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ لَلْعَيْثِ وَالْفُسَادِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُقْرَعًا وَمُوبِحًا لِمَنْ اتَّبَعَهُ وَأَطَاعَهُ " أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي " الْآيَةُ أَي بَدَلًا عَنِّي وَلِهَذَا قَالَ " بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا " وَهَذَا الْمَقَامُ كَقَوْلِهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا وَمَصِيرِ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ السَّعْدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ فِي سُورَةِ يَسٍ " وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيَّهَا الْمَجْرِمُونَ - إِلَى قَوْلِهِ - أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ . "

مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِ الْمُضْلِينَ عَضُدًا (51)

يَقُولُ تَعَالَى : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي عِبِيدَ أَمْثَالِكُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا لَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا كَانُوا إِذْ ذَلِكَ مُوجُودِينَ , يَقُولُ تَعَالَى : أَنَا الْمُسْتَقْبَلُ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَمُدَبِّرُهَا وَمُقَدِّرُهَا وَحَدِي لَيْسَ مَعِيَ فِي ذَلِكَ شَرِيكَ وَلَا وَزِيرٌ وَلَا مُشِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ كَمَا قَالَ " قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ " الْآيَةُ . وَلِهَذَا قَالَ " وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِ الْمُضْلِينَ عَضُدًا " قَالَ مَالِكٌ : أَعْوَانًا .

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُخَاطَبُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ تَقْرِيعًا لَهُمْ وَتَوْبِيخًا " نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ " أَي فِي دَارِ الدُّنْيَا أَدْعُوهُمْ الْيَوْمَ يُنْقِذُونَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ " وَقَوْلُهُ "

فَدَعُوهُمْ فَلَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ " كَمَا قَالَ " وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ " الْآيَةُ وَقَالَ " وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ

دُونَ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ " الْآيَتَيْنِ وَقَالَ تَعَالَى " وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا " وَقَوْلُهُ " وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مَهْلِكًا وَقَالَ قَتَادَةُ : ذَكَرْنَا أَنَّ عَمْرًا الْبِكَالِيَّ حَدَّثَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : هُوَ وَادٍ عَمِيقٌ فُرِّقَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَقَالَ قَتَادَةُ : مَوْبِقًا وَادِيًا فِي جَهَنَّمَ . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانَ الْقُرَازِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى " وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا " قَالَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : مَوْبِقًا عِدَاوَةٌ وَالظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ هَاهُنَا أَنَّهُ الْمَهْلِكُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَادِيًا فِي جَهَنَّمَ أَوْ غَيْرِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّهُ لَّا سَبِيلَ لَهُوَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا وُصُولَ لَهُمْ إِلَى آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَّهُ يُفْرَقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا فِي الْآخِرَةِ فَلَا خَلَاصَ لِأَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْآخِرِ بَلْ بَيْنَهُمَا مَهْلِكٌ وَهُوَ عَظِيمٌ وَأَمْرٌ كَبِيرٌ . وَأَمَّا إِنْ جَعَلَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ " بَيْنَهُمْ " عَائِدًا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو إِنَّهُ يُفْرَقُ بَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ بِهِ فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدِ يَتَفَرَّقُونَ " وَقَالَ " يَوْمِنُدِ يَصْدَعُونَ " وَقَالَ تَعَالَى " وَأَمَّا تَرَاوَا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ " وَقَالَ تَعَالَى " وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَيْلْنَا بَيْنَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ - وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . "

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53)

وَقَوْلُهُ " وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا " أَيَّ أَنَّهُمْ لَمَّا عَايَنُوا جَهَنَّمَ حِينَ جِيءَ بِهَا تُقَادَ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ " فَإِذَا رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ " تَحَقَّقُوا لَّا مَحَالَةَ أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ لَهُمْ فَإِنْ تَوَقَّعَ الْعَذَابَ وَالْخَوْفَ مِنْهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ عَذَابَ نَاجِرٍ وَقَوْلُهُ " وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا " أَيَّ لَيْسَ لَهُمْ طَرِيقٌ يَعْدِلُ بِهِمْ عَنْهَا وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي يُونُسُ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ دَرَّاجٍ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " إِنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى جَهَنَّمَ فَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ " وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا حَسَنٌ حَدَّثَنَا دَرَّاجٌ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يُنْصَبُ الْكَافِرُ مَقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ كَمَا لَمْ يَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيَرَى جَهَنَّمَ وَيَظُنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً . "

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)

يَقُولُ تَعَالَى وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ وَوَضَحْنَا لَهُمُ الْأُمُورَ وَفَصَّلْنَاهَا كَيْلًا يَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَيَخْرُجُوا عَنِ طَرِيقِ الْهُدَى وَمَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَهَذَا الْفُرْقَانِ الْإِنْسَانُ كَثِيرُ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ وَالْمُعَارِضَةِ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ إِثْمًا مِنْ هُدَى اللَّهِ وَبِصْرِهِ لَطَرِيقِ النِّجَاةِ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ " أَلَا تُصَلِّيَانِ " فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ

أَنْ يَبْعَتَنَا بَعْتَنَا فَانصَرَفَ حِينَ قُلْتَ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ثُمَّ سَمِعْتَهُ وَهُوَ مَوْلٍ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ " وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدًّا " أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ.

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَى أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55)

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَرُدِ الْكُفْرَةِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ وَتَكْذِيبِهِمُ بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ الظَّاهِرِ مَعَ مَا يُشَاهِدُونَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَأَنَّهُ مَا مَنَعَهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ ذَلِكَ إِلَّا طَلَبَهُمْ أَنْ يُشَاهِدُوا الْعَذَابَ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ عَيَانًا كَمَا قَالَ أَوْلَيْكَ لِنَبِيِّهِمْ " فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ " وَأَخْرُونَ قَالُوا " ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ " وَقَالَتْ قُرَيْشٌ " اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ " وَقَالُوا " يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْكَ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأَنكِةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ " إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ " إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَى " مِنْ غَشْيَانِهِمْ بِالْعَذَابِ وَأَخَذَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ " أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا " أَي يَرُونَهُ عَيَانًا مُوْجِهَةً وَمُقَابِلَةً.

وَمَا نُرْسِلِ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُؤًا (56) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى " وَمَا نُرْسِلِ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ " أَي قَبْلَ الْعَذَابِ مُبَشِّرِينَ مِنْ صِدْقِهِمْ وَأَمِنْ بِهِمْ وَمُنذِرِينَ لِمَنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكُفْرَانِ بِأَنَّهُمْ " يُجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ " أَي لِيُضَعِّفُوا بِهِ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَاصِلِ لَهُمْ " وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُؤًا " أَي اتَّخَذُوا الْحُجُجَ وَالْبُرَاهِينَ وَخَوَارِقَ الْعَادَاتِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا الرُّسُلُ وَمَا أُنذِرُوهُمْ وَخَوَفُوهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ " هُزُؤًا " أَي سَخِرُوا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَشَدُّ التَّكْذِيبِ.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدِمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57)

يَقُولُ تَعَالَى وَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ آيَاتِ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا أَي تَنَاسَاهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ يُصْغِ لَهَا وَلَا أَلْقَى إِلَيْهَا بَالًا " وَنَسِيَ مَا قَدِمَتْ يَدَاؤُهُ " أَي مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ " إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ " أَي قُلُوبَ هَؤُلَاءِ " أَكِنَّةً " أَي أَغْطِيَةً وَعِشَاوَةً " أَنْ يَفْقَهُوهُ " أَي لِنَلَّا يَفْهَمُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْبَيَانَ " وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا " أَي صَمَمًا مَعْنَوِيًّا عَنِ الرَّشَادِ " وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا. "

وَرَبِّكَ الْغُضُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58)

وَقَوْلُهُ " وَرَبِّكَ الْغُضُورُ ذُو الرَّحْمَةِ " أَي رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ غُضُورُ ذُو رَحْمَةٍ وَأَسْعَةٍ " لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ " كَمَا قَالَ " وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ " وَقَالَ " وَإِنْ رَبِّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنْ رَبِّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ " وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ شَتَّى ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْلُمُ وَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ وَرَبِّمَا هَدَى بَعْضَهُمْ مِنَ الْغَيِّ إِلَى الرَّشَادِ وَمَنْ اسْتَمَرَّ مِنْهُمْ فَلَهُ

يَوْمَ يَشِيبُ فِيهِ الْوَلِيدُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَهَذَا قَوْلُ " بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا " أَيُّ لَيْسَ لَهُمْ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَحِيدٌ وَلَا مَعْدِلٌ.

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)

وقوله " وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا " أي الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكتناهم بسبب كفرهم وعنادهم " وجعلنا لهملكتهم موعداً " أي جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا ينقص أي وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذري.

وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا (60)

سبب قول موسى لفتاه وهو يشوع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل إليه وقال لفتاه ذلك " لا أبرح " أي لا أزال سائراً " حتى أبلغ مجمع البحرين " أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين قال الفرزدق : فما برحوا حتى تهادت نسأؤهم ... ببطحاء ذي قار عياب اللطائم قال قتادة وغير واحد : هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب . وقال محمد بن كعب القرظي مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب فالله أعلم . وقوله " أو أمضي حقبا " أي ولو أنني أسير حقبا من الزمان . قال ابن جرير رحمه الله : ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس سنة ثم قد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال الحقب ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون خريفاً وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله " أو أمضي حقبا " قال دهرًا وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك.

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً (61)

وقوله " فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما " وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه وقيل له : متى فقدت الحوت فهو ثمة فسارا حتى بلغا مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هنالك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكث مع يوشع عليه السلام وطفر من المكثل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ولهذا قال تعالى " واتخذ سبيله في البحر سرباً " أي مثل السرب في الأرض قال ابن جرير قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر . وقال العوفي عن ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة وقال محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذي فيه فأنجاب كالكوة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال " ذلك ما كنا نبغ " وقال قتادة سرب من البحر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فيه فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً.

فلما جاؤزا قال لفتاه أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (62)

وَقَوْلُهُ " فَلَمَّا جَاوَزَا " أَي الْمَكَانَ الَّذِي نَسِيَا الْحُوتَ فِيهِ وَنَسَبَ النَّسِيَانِ إِلَيْهِمَا وَإِنْ كَانَ يُوشَعُ هُوَ الَّذِي نَسِيَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى " يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ وَالْمَرْجَانُ " وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَالِحِ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فَلَمَّا ذَهَبَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَسِيَاهُ فِيهِ بِمَرَحَلَةٍ " قَالَ " مُوسَى " لِفَتَاهُ أَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا " أَي الَّذِي جَاوَزْنَا فِيهِ الْمَكَانَ نَصَبًا يَعْنِي تَعَبًا .

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63)

قَالَ " أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ " قَالَ قَتَادَةُ وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنْ أَذْكُرَكَ وَهَذَا قَالَ " فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ " أَي طَرِيقَهُ .

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64)

" قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ " أَي هَذَا هُوَ الَّذِي نَطْلُبُ " فَارْتَدَّا " أَي رَجَعَا " عَلَى آثَارِهِمَا " أَي طَرِيقَهُمَا " قَصَصًا " أَي يَقْصَانِ آثَارَ مَشْيِهِمَا وَيَقْضُونَ أَثَرَهُمَا .

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)

" فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا " وَهَذَا هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنْ نَوَّافًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبِي بَنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " إِنْ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ قَالَ أَنَا . فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمُ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَ تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ بِمِثْلِهِ فَحَيْثُمَا فَقَدْتُ الْحُوتَ فَهُوَ ثُمَّ " فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ بِمِثْلِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بَنُ نُونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَتَنَامَا وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِثْلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ " أَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا " وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ قَالَ لَهُ فَتَاهُ " أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا " قَالَ فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا فَقَالَ " ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا " قَالَ فَرَجَعَا يَقْصَانِ أَثَرَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًى بِثُوبٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ . فَقَالَ أَنَا مُوسَى . فَقَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا " قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمْتِيهِ لَأَتَعَلَّمَهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَأَتَعَلَّمَهُ .

فَقَالَ مُوسَى " سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا " قَالَ لَهُ الْخَضِرُ " فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَهَمَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَعَمَدَتْ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقَتْهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا " قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا " قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا " قَالَ : وَجَاءَ عَصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَتَقَرَّرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ : مَا عَلِمِي وَعَلِمَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ. ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ فَأَقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى " أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا تَكْرًا " قَالَ " أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " قَالَ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى " قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ " أَي مَانًا فَقَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ " فَأَقَامَهُ " فَقَالَ مُوسَى : قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعَمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا " لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَنْبِتُكَ بِتَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ " وَدَدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا " قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ " وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا " وَكَانَ يَقْرَأُ " وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ " ثُمَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ قُتَيْبَةَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ وَفِيهِ فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَمَعَهُمَا الْحُوتُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَنَزَلَا عِنْدَهَا قَالَ فَوَضَعَ مُوسَى رَأْسَهُ فَتَنَامَ قَالَ سُفْيَانُ : وَفِي حَدِيثٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يَقَالُ لَهَا الْحَيَاةُ لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ فَأَصَابَ الْحُوتُ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ فَتَحَرَّكَ وَأَنْسَلَ مِنَ الْمَكْتَلِ فَدَخَلَ الْبَحْرَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ " أَتَنَا غَدَاءَنَا " قَالَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَوَقَعَ عَصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى مَا عَلِمِي وَعَلِمَكَ وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارٌ مَا غَمَسَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْقَارَهُ وَذَكَرَ تَمَامَهُ بِنَحْوِهِ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ أَنْ ابْنَ جَرِيحٍ أَخْبَرَهُمْ قَالَ أَخْبَرَنِي يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ يَزِيدُ أَحَدَهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ وَغَيْرَهُمَا قَدْ سَمِعْتَهُ يُحَدِّثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ إِذَا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ إِذْ قَالَ سَلُونِي فَقُلْتُ أَيُّ أَبَا عَبَّاسٍ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٍ يَقَالُ لَهُ نَوْفٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَّا عَمْرُو فَقَالَ لِي قَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ وَأَمَّا يَعْلَى فَقَالَ لِي : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَدَّثَنِي أَبِي بَنُ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ ذَكَرَ النَّاسُ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتْ الْعُيُونُ وَرَقَّتْ الْقُلُوبُ وَلَّى فَادْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ لَا : فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمُ إِلَى اللَّهِ قِيلَ بَلَى ; قَالَ أَيُّ رَبِّ وَأَيْنَ ؟ قَالَ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ قَالَ أَيُّ رَبِّ اجْعَلْ لِي عِلْمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ

قَالَ لِي عُمَرُ قَالَ : حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْهُوتُ وَقَالَ لِي يَعْلَى خُذْ حُوتًا مَيْتًا حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ فَقَالَ لِفَتَاهُ
لَا أَكْلِفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْهُوتُ قَالَ مَا كَلَّفْتُ كَبِيرًا فذلِكَ قَوْلُهُ " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ " يَوْشَعَ بْنَ نُونٍ لَيْسَتْ عِنْدَ
سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ فَبَيْنَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرِيانٍ إِذْ تَضَرَّبَ الْهُوتُ وَمُوسَى نَائِمٌ فَقَالَ فَتَاهُ لَأُوقِظُهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ
نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ وَتَضَرَّبَ الْهُوتُ حَتَّى دَخَلَ فِي الْبَحْرِ فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَرِيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ أَثَرُهُ فِي حَجَرٍ قَالَ : فَقَالَ لِي عَمْرُو هَكَذَا
كَانَ أَثَرُهُ فِي حَجَرٍ وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلِيهِمَا قَالَ " لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا " قَالَ وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ لَيْسَتْ
هَذِهِ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَخْبِرَهُ فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا قَالَ : قَالَ عَثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ عَلَى طَنْفَسَةِ خَضِرَاءَ عَلَى كَيْدِ الْبَحْرِ قَالَ
سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ مُسَجًى بِثُوبٍ قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ : هَلْ بِأَرْضِكَ
مِنْ سَلَامٍ ؟ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ أَنَا مُوسَى قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا قَالَ أَمَا
يَكْفِيكَ أَنْ التَّوْرَةَ بِيَدَيْكَ وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ ؟ يَا مُوسَى إِنْ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ وَإِنْ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ فَأَخَذَ
طَائِرَ بِمَنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا عَلِمِي وَعَلِمَكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمَنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي
السَّفِينَةِ وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى هَذَا السَّاحِلِ الْآخَرَ عَرَفُوهُ فَقَالُوا عَبْدُ اللَّهِ
الصَّالِحُ قَالَ فَقُلْنَا لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ خَضِرٌ قَالَ : نَعَمْ لَأَنْحَمِلَهُ بِأَجْرٍ فَخَرَقَهَا وَوَتِدَ فِيهَا وَتَدَا قَالَ مُوسَى " أَخْرَقْتَهَا لِتُخْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ
جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا " قَالَ مُجَاهِدٌ مُنْكَرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ كَانَتْ الْأُولَى نَسِيانًا وَالثَّانِيَةَ شَرْطًا وَالثَّلَاثَةَ عَمْدًا قَالَ لَأُ
تَوَاقِدَنِي بِمَا نَسِيتَ وَلَا تُرْهِقَنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ يَعْلَى قَالَ سَعِيدُ وَجَدَ غُلَامًا يَلْعَبُونَ فَأَخَذَ غُلَامًا
كَافِرًا ظَرِيفًا فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسَّكِينِ فَقَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً لَمْ تَعْمَلِ الْحَنْثَ ؟ وَابْنُ عَبَّاسٍ قَرَأَهَا زَكِيَّةً زَاكِيَّةً مُسَلِّمَةً كَقَوْلِكَ
غُلَامًا زَكِيًّا فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ بِيَدِهِ : هَكَذَا وَدَفَعَ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ قَالَ : لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ
يَعْلَى : حَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدًا قَالَ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ سَعِيدُ أَجْرًا نَأْكُلُهُ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ وَكَانَ
أَمَامَهُمْ قَرَاهَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ هَدَى بَنُ بَدَدٍ وَالْعُلَامُ الْمُقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ حَيْسُورَ مَلِكٍ يَأْخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَضَبًا فَارْدَتْ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدْعَهَا بِعَيْبِهَا فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ سَدُوهَا بِقَارُورَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَقُولُ بِالْقَارِ كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ وَكَانَ هُوَ كَافِرًا فَخَشِينَا أَنْ يَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبَّهُ عَلَيَّ أَنْ يَتَابِعَاهُ عَلَيَّ دِينَهُ فَارْدَنَا أَنْ
يُبْدِلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً كَقَوْلِهِ " أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً " وَقَوْلُهُ " وَأَقْرَبَ رَحْمًا " هُمَا بِهِ أَرْحَمَ مِنْهُمَا بِالْأَوَّلِ الَّذِي قَتَلَ خَضِرَ وَزَعَمَ
غَيْرُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُمَا أَبْدَلَا جَارِيَةً وَأَمَّا دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فَقَالَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ إِنَّهَا جَارِيَةٌ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ عَنْ
أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَطَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَيَأْمُرُهُ مِنِّي فَأَمَرَ
أَنْ يَلْقَى هَذَا الرَّجُلَ فَذَكَرْنَا حُومًا مَا تَقَدَّمَ بِزِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عَتِيبَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : جَلَسْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ إِنَّ نَوْفًا ابْنَ امْرَأَةِ كَعْبٍ يَزْعُمُ عَنْ كَعْبٍ أَنَّ مُوسَى النَّبِيَّ الَّذِي طَلَبَ الْعِلْمَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى بْنُ مِيثَا قَالَ سَعِيدٌ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنْوَفٌ يَقُولُ هَذَا يَا سَعِيدُ ؟ قُلْتُ لَهُ نَعَمْ أَنَا سَمِعْتُ نَوْفًا يَقُولُ ذَلِكَ قَالَ أَنْتَ سَمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ كَذَبَ نَوْفٌ ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ إِنْ كَانَ فِي عِبَادِكَ أَحَدٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي فَدُلَّنِي عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ فِي عِبَادِي مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ثُمَّ نَعَتْ لَهُ مَكَانَهُ وَأَذِنَ لَهُ فِي لُغَيْهِ خَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ وَمَعَهُ حَوْتُ مَلِيحٍ قَدْ قِيلَ لَهُ إِذَا حَيِّيَ هَذَا الْحَوْتُ فِي مَكَانٍ فَصَاحِبِكَ هُنَاكَ وَقَدْ أَدْرَكْتَ حَاجَتَكَ ، فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ وَمَعَهُ ذَلِكَ الْحَوْتُ يَحْمِلَانِهِ فَسَارَ حَتَّى جَهَدَهُ السَّيْرُ وَانْتَهَى إِلَى الصَّخْرَةِ وَإِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَذَلِكَ الْمَاءُ مَاءُ الْحَيَاةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خَلَدَ وَلَا يُقَارِبُهُ شَيْءٌ مَيِّتٌ إِلَّا حَيِّيَ فَلَمَّا نَزَلَا وَمَسَّ الْحَوْتُ الْمَاءَ حَيِّيَ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَانْطَلَقَا فَلَمَّا جَاوَزَا النُّقْلَةَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : أَتَنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ الْفَتَى وَذَكَرَ " أَرَأَيْتَ إِذْ أُوتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتُ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرُهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَظَهَرَ مُوسَى عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى إِذَا انْتَهَيْتَ إِلَيْهَا فَإِذَا رَجُلٌ مُتَلَفِّفٌ فِي كِسَاءٍ لَهُ فَسَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ فَفَرَدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ إِنْ كَانَ لَكَ فِي قَوْمِكَ لَشْغَلٌ قَالَ لَهُ مُوسَى جِئْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَانَ رَجُلًا يَعْلَمُ عِلْمَ الْغَيْبِ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ فَقَالَ مُوسَى بَلَى قَالَ " وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا " أَيُّ إِنَّمَا تَعْرِفُ ظَاهِرَ مَا تَرَى مِنَ الْعَدْلِ وَلَمْ تُحِطْ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ بِمَا أَعْلَمُ " قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا " وَإِنْ رَأَيْتَ مَا يُخَالِفُنِي قَالَ " فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ " وَإِنْ أَنْكَرْتَهُ " حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَتَعَرَّضَانِ النَّاسَ يَلْتَمِسَانِ مَنْ يَحْمِلُهُمَا حَتَّى مَرَّتَ بِهِمَا سَفِينَةٌ جَدِيدَةٌ وَثِقَةٌ لَمْ يَمْرُ بِهِمَا مِنَ السُّفُنِ شَيْءٌ أَحْسَنَ وَلَا أَجْمَلَ وَلَا أَوْثَقَ مِنْهَا فَسَأَلَ أَهْلَهَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَحَمَلُوهُمَا فَلَمَّا اِطْمَأَنَّنَا فِيهَا وَلَجَّتْ بِهِمَا مَعَ أَهْلِهَا أَخْرَجَ مِنْقَارًا لَهُ وَمِطْرَقَةً ثُمَّ عَمَدَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْهَا فَضْرَبَ فِيهَا بِالْمِنْقَارِ حَتَّى خَرَقَهَا ثُمَّ أَخَذَ لَوْحًا فَطَبَّقَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهَا يَرْفَعُهَا فَقَالَ لَهُ مُوسَى وَرَأَى أَمْرًا أَفْظَعَ بِهِ " أَخْرَقْتَهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ " أَيُّ بِمَا تَرَكْتُمْ مِنْ عَهْدِكَ " وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا " ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ فَإِذَا غُلَمَانٌ يَلْعَبُونَ خَلْفَهَا فِيهِمْ غُلَامٌ لَيْسَ فِي الْغُلَمَانِ غُلَامٌ أَظْرَفَ مِنْهُ وَلَا أَثْرَى وَلَا أَوْضَا مِنْهُ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَأَخَذَ حَجْرًا فَضْرَبَ بِهِ رَأْسَهُ حَتَّى دَمَعَهُ فَمَاتَهُ قَالَ فَرَأَى مُوسَى أَمْرًا فَظِيْعًا لَأَ صَبَرَ عَلَيْهِ صَبِيٌّ صَغِيرٌ قَتَلَهُ لَأَ ذَنْبٌ لَهُ قَالَ " أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً " أَيُّ صَغِيرَةً " بَغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نَكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا " أَيُّ قَدْ أَعْذَرْتَ فِي شَأْنِي " فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ " فَهَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ بَيْنَيْهِ فَضَجَرَ مُوسَى مِمَّا يَرَاهُ يَصْنَعُ مِنَ التَّكْلِيفِ وَمَا

لَيْسَ عَلَيْهِ صَبْرٌ فَأَقَامَهُ قَالَ " لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا " أَي قَدْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْهُمْ فَلَمْ يُطْعَمُوا وَضَفْنَا لَهُمْ فَلَمْ يُضَيَّفُونَا ثُمَّ قَعَدْتَ تَعْمَلُ مِنْ غَيْرِ صَنِيعَةٍ وَلَوْ شِئْتَ لَأَعْطَيْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا فِي عَمَلِهِ قَالَ " هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا " وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ " كُلُّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٌ " وَإِنَّمَا عَيْبَتَهَا لِأَرْدَهُ عَنْهَا فَسَلِمَتْ مِنْهُ حِينَ رَأَى الْعَيْبَ الَّذِي صَنَعْتَ بِهَا " وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبِّهَمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ نَفْسِي " ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ مَا كَانَ الْكَنْزُ إِلَّا عِلْمًا وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا ظَهَرَ مُوسَى وَقَوْمُهُ عَلَى مِصْرَ أَنْزَلَ قَوْمَهُ مِصْرَ فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِهِمُ الدَّارُ أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ فَخَطَبَ قَوْمَهُ فَذَكَرَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ وَذَكَرَهُمْ إِذْ نَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَذَكَرَهُمْ هَلَاكَ عَدُوِّهِمْ وَمَا اسْتَخْلَفَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ كَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ تَكْلِيمًا وَأَصْطَفَانِي لِنَفْسِهِ وَأَنْزَلَ عَلَيَّ مَحَبَّةً مِنْهُ وَأَتَاكُمْ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ فَنَبِيَّكُمْ أَفْضَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَنْتُمْ تَقْرءُونَ التَّوْرَةَ فَلَمْ يَتْرِكْ نِعْمَةَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا وَعَرَفَهُمْ إِيَّاهَا . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُمْ كَذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ عَرَفْنَا الَّذِي تَقُولُ فَهَلْ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ لَا فَبَعَثَ اللَّهُ جِبْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَمَا يُدْرِيكَ أَيْنَ أَضَعُ عِلْمِي بَلَى إِنَّ لِي عَلَى شَطِئِ الْبَحْرِ رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ الْخَضِرُ فَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يُرِيهَ إِيَّاهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ أَنْتَ الْبَحْرُ فَإِنَّكَ تَجِدُ عَلَى شَطِئِ الْبَحْرِ حُوتًا فَحَذِّهِ فَادْفَعْهُ إِلَى فَتَاكَ ثُمَّ الزَّمْ شَاطِئَ الْبَحْرِ فَإِذَا نَسِيتَ الْحُوتَ وَهَلَكَ مِنْكَ فَتَمَّ تَجِدُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ الَّذِي تَطْلُبُ فَلَمَّا طَالَ سَفَرُ مُوسَى نَبِيَّ اللَّهِ وَنَصَبَ فِيهِ سَأَلَ فَتَاهُ عَنِ الْحُوتِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ وَهُوَ غُلَامُهُ " أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتَ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ " لَكَ قَالَ الْفَتَى لَقَدْ رَأَيْتَ الْحُوتَ حِينَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا فَأَعْجَبَ ذَلِكَ فَرَجَعَ مُوسَى حَتَّى آتَى الصَّخْرَةَ فَوَجَدَ الْحُوتَ فَجَعَلَ الْحُوتَ يَضْرِبُ فِي الْبَحْرِ وَيَتَّبِعُهُ مُوسَى وَجَعَلَ مُوسَى يُقَدِّمُ عَصَاهُ يُفْرِجُ بِهَا عَنْهُ الْمَاءَ يَتَّبِعُ الْحُوتَ وَجَعَلَ الْحُوتَ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا يَبَسَ عَنْهُ الْمَاءُ حَتَّى يَكُونَ صَخْرَةً فَجَعَلَ نَبِيَّ اللَّهِ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى بِهِ الْحُوتَ جَزِيرَةً مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَلَقِيَ الْخَضِرَ بِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ الْخَضِرُ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَأَنْتَى يَكُونُ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ أَنَا مُوسَى .

قَالَ الْخَضِرُ : صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ نَعَمْ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ جِئْتُكَ " عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " يَقُولُ لَا تَطْلِقْ ذَلِكَ قَالَ " سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا " قَالَ فَانْطَلَقَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ أَصْنَعُهُ حَتَّى أَبَيِّنَ لَكَ شَأْنَهُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ " حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " وَقَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْتَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرْبُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ خَضِرٌ فَهَرَبَ بِهِمَا أَبِي بِنِ

كَعَبَ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ تَعْلَمُ مَكَانَ رَجُلٍ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ لَا فَأَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ إِلَى مُوسَى بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْهُوتَ آيَةً وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ الْهُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْهُوتِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْهُوتَ قَالَ مُوسَى " ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا " فَوَجَدَا عَبْدُنَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ فِي كِتَابِهِ .

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنْ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا (66)

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ وَهُوَ الْخَضِرُ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِعِلْمٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مُوسَى كَمَا أَنَّهُ أُعْطِيَ مُوسَى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطِهِ الْخَضِرُ " قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ " سُؤَالَ تَلَطَّفٍ لَأَ عَلَى وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالْإِجْبَارِ وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سُؤَالَ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ وَقَوْلُهُ " أَتَيْتُكَ " أَيُّ أَصْحَابِكَ وَأَرَأَيْتُكَ " عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا " أَيُّ مِمَّا عَلِمَكَ اللَّهُ شَيْئًا أَسْتَرْشِدُ بِهِ فِي أَمْرِي مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ .

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67)

فَعِنْدَهَا " قَالَ " الْخَضِرُ لِمُوسَى " إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " أَيُّ إِنَّكَ لَأَ تَقْدِرُ عَلَى مُصَاحَبَتِي لِمَا تَرَى مِنِّي مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُخَالِفُ شَرِيْعَتَكَ لِأَنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلِمَكَهُ اللَّهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلِمَنِيهِ اللَّهُ فَكُلُّ مَنْ مَكْلَفٌ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ دُونَ صَاحِبِهِ وَأَنْتَ لَأَ تَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِي .

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68)

" وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا " فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتُنْكِرُ عَلَيَّ مَا أَنْتَ مَعْدُورٌ فِيهِ وَلَكِنْ مَا أَطَّلَعْتَ عَلَى حِكْمَتِهِ وَمَصْلَحَتِهِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي أَطَّلَعْتَ أَنَا عَلَيْهَا دُونَكَ .

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69)

" قَالَ " أَيُّ مُوسَى " سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا " أَيُّ عَلَى مَا أَرَى مِنْ أُمُورِكَ " وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا " أَيُّ وَلَا أُخَالِفُكَ فِي شَيْءٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ شَارَطَهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70)

" قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ " أَيُّ ابْتِدَاءٍ " حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " أَيُّ حَتَّى أَبْدَأَكَ أَنَا بِهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ جَبْرِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ عَنْ هَارُونَ عَنْ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ الَّذِي يَذْكُرُنِي وَلَا يَنْسَانِي قَالَ فَأَيُّ عِبَادِكَ أَفْضَى ؟ قَالَ الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يَتَّبِعُ الْهَوَى

قَالَ أَيُّ رَبِّ أَبِي عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ الَّذِي يَبْتَغِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ عَسَى أَنْ يُصِيبَ كَلِمَةً تَهْدِيهِ إِلَى هُدًى أَوْ تُرَدَّهُ عَنْ رَدًى قَالَ أَيُّ رَبِّ هَلْ فِي أَرْضِكَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنِّي؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ الْخَضِرُ قَالَ وَأَيْنَ أَطْلُبُهُ؟ قَالَ عَلَى السَّاحِلِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ الَّتِي يَنْفَلِتُ عِنْدَهَا النُّحُوتُ قَالَ فَخَرَجَ مُوسَى يَطْلُبُهُ حَتَّى كَانَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ وَانْتَهَى مُوسَى إِلَيْهِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ فَسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَصْحَبَكَ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ صُحْبَتِي قَالَ بَلَى قَالَ فَإِنْ صَحِبْتَنِي " فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " قَالَ فَسَارَ بِهِ فِي الْبَحْرِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَكَانٌ أَكْثَرَ مَاءً مِنْهُ قَالَ وَبَعَثَ اللَّهُ الْخُطَافَ فَجَعَلَ يَسْتَقِي مِنْهُ بِمَنْقَارِهِ فَقَالَ لِمُوسَى كَمْ تَرَى هَذَا الْخُطَافَ رِزًّا مِنْ هَذَا الْمَاءِ قَالَ : مَا أَقَلُّ مَا رَزًّا قَالَ يَا مُوسَى فَإِنْ عَلِمِي وَعَلِمَكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَقَدْرٍ مَا اسْتَقَى هَذَا الْخُطَافُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ وَكَانَ مُوسَى قَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُ أَوْ تَكَلَّمَ بِهِ فَمِنْ ثَمَّ أَمْرٌ أَنْ يَأْتِيَ الْخَضِرَ وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ فِي خَرَقِ السَّفِينَةِ وَقَتْلِ الْغُلَامِ وَإِصْلَاحِ الْجِدَارِ وَتَفْسِيرِهِ لَهُ ذَلِكَ.

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى وَصَاحِبِهِ وَهُوَ الْخَضِرُ أَنَّهُمَا انْطَلَقَا لَمَّا تَوَافَقَا وَأَصْطَحَبَا وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أَنْكَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَبْتَدِئُهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بِشَرْحِهِ وَبَيَانِهِ فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ كَيْفَ رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ وَأَنَّهُمْ عَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ يَعْنِي بِغَيْرِ أُجْرَةٍ تَكْرَمَةً لِلْخَضِرِ فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ وَلَجَجَتْ أَيُّ دَخَلَتْ اللَّجَّةَ قَامَ الْخَضِرُ فَخَرَقَهَا وَاسْتَخْرَجَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا ثُمَّ رَقَعَهَا فَلَمَّ يَمْلِكُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ مُنْكَرًا عَلَيْهِ " أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا " وَهَذِهِ اللَّامُ الْعَاقِبَةُ لَا تَامُ التَّلْعِيلُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : لُدُّوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ " لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا " قَالَ مُجَاهِدٌ مُنْكَرًا وَقَالَ قَتَادَةُ عَجَبًا فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ الْخَضِرُ مُذْكَرًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الشَّرْطِ.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72)

" أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " يَعْنِي وَهَذَا الصَّبْرُ فَعَلْتَهُ قَصْدًا وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي اشْتَرَطْتَ مَعَكَ أَنْ لَا تُنْكَرَ عَلَيَّ فِيهَا لِأَنَّكَ لَمْ تُحِطْ بِهَا خَبْرًا وَلَهَا دَخْلٌ هُوَ مُصْلِحَةٌ وَلَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ.

قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73)

" قَالَ " أَيُّ مُوسَى " لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا " أَيُّ لَا تُضَيِّقْ عَلَيَّ وَلَا تُشَدِّدْ عَلَيَّ وَلِهَذَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " كَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا. "

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74)

يَقُولُ تَعَالَى " فَانْطَلَقَا " أَيُّ بَعْدَ ذَلِكَ " حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ " وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ فِي قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى وَأَنَّهُ عَمَدَ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَهُمْ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَضْوَاهُمْ فَقَتَلَهُ وَرَوِيَ أَنَّهُ احْتَزَرَ رَأْسَهُ وَقِيلَ رَضَخَهُ بِحَجَرٍ وَفِي رِوَايَةٍ اقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَلَمَّا شَاهَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا أَنْكَرَهُ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَبَادَرَ فَقَالَ " أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً " أَي صَغِيرَةً لَمْ تَعْمَلِ الْحَنْثَ وَلَا عَمِلَتْ إِثْمًا بَعْدَ فِقَاتِهِ " بَغَيْرِ نَفْسٍ " أَي بَغَيْرِ مُسْتَدٍّ لِقَاتِهِ " لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نَكْرًا " أَي ظَاهِرِ الْبُكَارَةِ.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75)

" قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " فَكَأَدَّ أَيْضًا وَفِي التَّنْذِيرِ بِالشَّرْطِ الْأَوَّلِ.

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76)

فَلِهَذَا قَالَ لَهُ مُوسَى " إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا " أَي إِنْ اعْتَرَضْتُ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ " فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا " أَي قَدْ أَعْذَرْتُ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمْرَةَ الزِّيَّاتِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ " رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لِابْصَرِ الْعَجَبَ وَلَكِنَّهُ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا " مُنْقَلَةً.

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا (77)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمَا أَنَّهُمَا انْطَلَقَا بَعْدَ الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهَا الْأَيْلَةُ وَفِي الْحَدِيثِ " حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِنَامًا " أَي بِخَلَاءٍ " فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ " إِسْنَادُ الْإِرَادَةِ هَاهُنَا إِلَى الْجِدَارِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ فَإِنَّ الْإِرَادَةَ فِي الْمَحْدَثَاتِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ وَالْإِنْقِضَاضِ هُوَ السَّقُوطُ وَقَوْلُهُ " فَأَقَامَهُ " أَي فَرَدَّهُ إِلَى حَالَةِ الْاسْتِقَامَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ رَدَّهُ بِيَدِهِ وَدَعَمَهُ حَتَّى رَدَّ مَيْلَهُ وَهَذَا خَارِقٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى " لَهُ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا " أَي لِأَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُضَيِّفُونَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَعْمَلَ لَهُمْ مَجَانًا.

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَنْبِتُكَ بِتَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78)

" قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ " أَي لِأَنَّكَ شَرَطْتَ عِنْدَ قَتْلِ الْغُلَامِ أَنَّكَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي فَهُوَ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ " سَأَنْبِتُكَ بِتَأْوِيلٍ " أَي بِتَفْسِيرٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79)

هَذَا تَفْسِيرٌ مَا أَشْكَلَ أَمْرَهُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ أَنْكَرَ ظَاهِرَهُ وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حِكْمَةٍ بَاطِنَةٍ فَقَالَ : إِنْ السَّفِينَةُ إِثْمًا خَرَقْتَهَا لِأَعِيبَهَا لَأَنْتُمْ كَانُوا يَمْرُونُ بِهَا عَلَى مَلِكٍ مِنَ الظُّلْمَةِ " يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ " صَالِحَةٌ أَي جَيِّدَةٌ " غَصْبًا " فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا لِأَرُدَّهُ عَنْهَا لِأَعِيبَهَا فَيَنْتَفِعَ بِهَا أَصْحَابُهَا الْمَسَاكِينَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ يَنْتَفِعُونَ بِهِ غَيْرَهَا وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ أَيْتَامٌ وَرَوَى ابْنُ

جُرَيْجٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ شُعَيْبِ الْجُبَايِّيِّ أَنَّ اسْمَ ذَلِكَ الْمَلِكِ هَدَدٌ بْنُ بَدَدٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي التَّوْرَةِ فِي ذُرِّيَّةِ الْعَيْصِ بْنِ إِسْحَاقَ وَهُوَ مِنَ الْمُلُوكِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ..

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَحَشِينَا أَنْ يَرَهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80)

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ كَانَ اسْمُهُ حَيْثُورٌ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا " رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهِ وَهَذَا قَالَ " فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَحَشِينَا أَنْ يَرَهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا " أَيِ يَحْمِلُهُمَا حُبَّهُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ قَالَ قَتَادَةُ : قَدْ فَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِينَ وُلِدَ وَحَزِنَا عَلَيْهِ حِينَ قُتِلَ وَلَوْ بَقِيَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُهُمَا فَلْيَرِضْ أَمْرًا بِقِضَاءِ اللَّهِ فَإِنَّ قِضَاءَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ فِيمَا يَكْرَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قِضَائِهِ فِيمَا يُحِبُّ وَصَحَّ فِي الْحَدِيثِ " لَا يَقْضِي اللَّهُ لِمُؤْمِنٍ قِضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ " وَقَالَ تَعَالَى " وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. "

فَارْدُنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا (81)

وَقَوْلُهُ " فَارْدُنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا " أَيِ وَلَدًا أَرْكَى مِنْ هَذَا وَهُمَا أَرْحَمَ بِهِ مِنْهُ قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ وَقَالَ قَتَادَةُ : أَبَرُ بِوَالِدَيْهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُمَا بَدَلَا جَارِيَةً وَقِيلَ لَهَا قَتَلَهُ الْخَضِرُ كَانَتْ أُمُّهُ حَامِلًا بِغُلَامٍ مُسْلِمٍ قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ.

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لَغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)

فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ الْقَرْيَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ قَالَ أَوْلًا " حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ " وَقَالَ هَاهُنَا " فَكَانَ لَغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ " كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ " " وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " يَعْنِي مَكَّةَ وَالطَّائِفَ وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ هَذَا الْجِدَارَ إِنَّمَا أَصْلَحْتَهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ كَانَ تَحْتَهُ مَالٌ مَدْفُونٌ لَهُمَا وَهُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جُرَيْجٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ عِلْمٌ وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَالَ مُجَاهِدٌ صُحِفَ فِيهَا عِلْمٌ وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ مَا يَقْوِي ذَلِكَ . عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : إِنَّ الْكَنْزَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مُصَمَّتٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدْرِ لِمَنْ نَصَبَ وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ النَّارَ لِمَنْ ضَحِكَ وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ لِمَنْ غَفَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَيُشْرَبُ الْمُنْذِرُ هَذَا يُقَالُ لَهُ قَاضِي الْمَصِيبَةِ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعُقَيْلِيُّ : فِي حَدِيثِهِ وَهُمْ وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا آثَارٌ عَنِ السَّلَفِ فَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ فِي تَفْسِيرِهِ : حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ نَدْبَةَ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ نَعِيمِ الْعَنْبَرِيِّ وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ الْحَسَنِ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَعْنِي الْبَصْرِيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ " وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا " قَالَ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ كَيْفَ يَحْزَنُ وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَمَقْلَبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُضْرَةَ قَالَ : إِنَّ الْكَنْزَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا الْكُهْفُ " وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا " قَالَ كَانَ لَوْحًا مِنْ ذَهَبٍ مُصَمَّتٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَجَبَ لِمَنْ عَرَفَ النَّارَ ثُمَّ ضَحِكَ عَجَبَ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ ثُمَّ نَصَبَ عَجَبَ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ آمَنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغَضَارِيُّ حَدَّثَنَا هُنَاءَةُ بِنْتُ مَالِكِ الشَّيْبَانِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ صَاحِبِي حَمَادَ بْنَ الْوَلِيدِ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى " وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا " قَالَ سَطْرَانٌ وَنِصْفٌ لِمِ يَتَمُّ الثَّلَاثُ : عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتَعَبُ وَعَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يَغْضُلُ وَعَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ " وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ " قَالَتْ وَذَكَرَ أَنَّهُمَا حُفْظًا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا وَلَمْ يُذَكَّرْ مِنْهُمَا صَلاَحٌ وَكَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْأَبِ الَّذِي حُفِظَا بِهِ سَبْعَةَ آبَاءٍ وَكَانَ نَسَاجًا وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ لَاءُ الْأُئِمَّةِ وَوَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمُنْتَقَدِمُ وَإِنْ صَحَّ لَا يَنَافِي قَوْلُ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ كَانَ مَالًا لَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ لَوْحًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِيهِ مَالٌ جَزِيلٌ أَكْثَرَ مَا زَادُوا أَنَّهُ كَانَ مُودَعًا فِيهِ عِلْمٌ وَهُوَ حَكِيمٌ وَمَوَاعِظٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ " وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا " فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي ذُرِّيَّتِهِ وَتَشْمَلُ بَرَكَاتُهُ عِبَادَتَهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِشَفَاعَتِهِ فِيهِمْ وَرَفَعُ دَرَجَتِهِمْ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لِتَقَرُّ عَيْنُهُ بِهِمْ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَوَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ حُفْظًا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا وَلَمْ يُذَكَّرْ لَهُمَا صَلاَحًا وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ الْأَبُ السَّابِعَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ " فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا " هَاهُنَا أَسْنَدُ الْإِرَادَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ بُلُوغَهُمَا الْحُلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ وَقَالَ فِي الْغُلَامِ " فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبَّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً " وَقَالَ فِي السَّفِينَةِ " فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا " فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى " رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي " أَي هَذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِمَنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ وَوَالِدِي الْغُلَامِ وَوَلَدِي الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي أَي لِكُنِّي أُمِرْتُ بِهِ وَوَقِفْتُ عَلَيْهِ وَفِيهِ دَلَالَةٌ لِمَنْ قَالَ بِبُؤَةِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا " وَقَالَ آخَرُونَ كَانَ رَسُولًا وَقِيلَ بَلْ كَانَ مَلَكًا نَقَلَهُ الْمَآوِرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَذَهَبَ كَثِيرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا بَلْ كَانَ وَلِيًّا فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَذَكَرَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ أَنَّ اسْمَ الْخَضِرِ بَلِيَا بْنُ مَلِكَانَ بْنِ فَالِغِ بْنِ عَامِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ أَرْفَحَشِدِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا وَكَانَ يُكْنَى أَبَا الْعَبَّاسِ وَيُلَقَّبُ بِالْخَضِرِ وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَلُوكِ ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَحَكَى هُوَ وَغَيْرُهُ فِي كَوْنِهِ بَاقِيًّا إِلَى الْآنِ ثُمَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَوْلَيْنِ وَمَالٌ هُوَ وَابْنُ الصَّلَاحِ إِلَى بَقَائِهِ وَذَكَرُوا فِي ذَلِكَ حِكَايَاتٍ وَأَثَارًا عَنِ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ وَجَاءَ ذِكْرُهُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ وَلَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَأَشْهَرُهَا حَدِيثُ التَّعْزِيَةِ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَرَجَّحَ آخَرُونَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَغَيْرِهِمْ خِلَافَ ذَلِكَ وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى " وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ " وَبِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ " اللَّهُمَّ إِنْ تَهَلَّكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ " وَبِأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا حَضَرَ عِنْدَهُ وَلَا قَاتَلَ مَعَهُ وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَبْعُوثًا إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَقَدْ قَالَ " لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ لَمَا وَسَعَهُمَا إِلَّا اتَّبَاعِي " وَأَخْبَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِقَبِيلِ أَنَّهُ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ لَيْلَتِهِ تِلْكَ عَيْنَ تَطْرِفٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّلَائِلِ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرِ بْنِ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَضِرِ قَالَ " إِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرًا لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فِرْوَةَ بِيضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ تَحْتِهِ خَضِرَاءَ " وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَقَدْ ثَبَتَ أَيْضًا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ هَمَّامِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فِرْوَةَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ تَحْتِهِ خَضِرَاءَ " وَالْمُرَادُ بِالْفِرْوَةِ هَاهُنَا الْحَشِيشُ الْيَابِسُ وَهُوَ الْهَشِيمُ مِنَ النَّبَاتِ قَالَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ .

وَقِيلَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَقَوْلُهُ " ذَلِكَ تَأْوِيلٌ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " أَي هَذَا تَفْسِيرٌ مَا ضَمَّتْ بِهِ ذُرْعًا وَلَمْ تَصْبِرْ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِهِ ابْتِدَاءً وَلَمَّا أَنْ فَسَّرَهُ لَهُ وَبَيَّنَّهُ وَوَضَحَهُ وَأَزَالَ الْمَشْكَلَ قَالَ " تَسْطِعُ " وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ الْأَشْكَالَ قَوِيًّا ثَقِيلًا فَقَالَ " سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " فَقَابَلَ الْأَثْقَلَ بِالْأَثْقَلِ وَالْأَخْفَ كَمَا قَالَ " فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ " وَهُوَ الصُّعُودُ إِلَى أَعْلَاهُ " وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا " وَهُوَ أَشَقُّ مِنْ ذَلِكَ فَقَابَلَ كُلًّا بِمَا يَنَاسِبُهُ لَفْظًا وَمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِنَّ قِيلَ : فَمَا بَالُ فَتَى مُوسَى ذَكَرَ فِي أَوَّلِ الْقِصَّةِ ثُمَّ لَمْ يُذْكَرْ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالسِّيَاقِ إِنَّمَا هُوَ قِصَّةُ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ وَذَكَرَ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا وَفَتَى مُوسَى مَعَهُ تَبَعَ وَقَدْ صَرَّحَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الصَّحَاحِ وَغَيْرِهَا أَنَّهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَلِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ مَا أوردَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ : لَمْ نَسْمَعْ لَفْتَى مُوسَى بِذِكْرِ حَدِيثٍ وَقَدْ كَانَ مَعَهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا يَذْكَرُ مِنْ حَدِيثِ الْفَتَى قَالَ شَرِبَ الْفَتَى مِنَ الْمَاءِ فَخَلَّدَ فَأَخَذَهُ الْعَالَمُ فَطَابِقَ بِهِ سَفِينَةَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْبَحْرِ فَإِنَّهَا لَتَمُوجُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ فَشَرِبَ إِسْنَادَهُ ضَعِيفٌ وَالْحَسَنُ مَتْرُوكٌ وَأَبُوهُ غَيْرُ مَعْرُوفٍ .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83)

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ " وَيَسْأَلُونَكَ " يَا مُحَمَّدُ " عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ " أَي عَنْ خَبْرِهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ بَعَثَ كُفَّارَ مَكَّةَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَ مِنْهُمْ مَا يَمْتَحِنُونَ بِهِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا سَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ فِي الْأَرْضِ وَعَنْ فَتِيَّةٍ مَا يُدْرِي مَا صَنَعُوا وَعَنْ الرُّوحِ فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْكَهْفِ وَقَدْ أوردَ ابْنُ جَرِيرٍ هَاهُنَا وَالْأَمُويُّ فِي مَغَازِيهِ حَدِيثًا أَسْنَدَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ عَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ نَحْرًا مِنَ الْيَهُودِ جَاءُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا جَاءُوا لَهُ ابْتِدَاءً فَكَانَ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ أَنَّهُ كَانَ شَابًا مِنَ الرُّومِ وَأَنَّهُ بَنَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ وَأَنَّهُ عَلَا بِهِ مَلِكٌ إِلَى السَّمَاءِ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى السَّدِّ وَرَأَى أَقْوَامًا وَجُوهَهُمْ مِثْلَ وُجُوهِ الْكِلَابِ وَفِيهِ طُولٌ وَنَكَارَةٌ وَرَفَعَهُ لَا يَصِحُّ وَأَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنَّهُ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْعَجَبُ أَنَّ أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِيَّ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ سَاقَهُ بِتَمَامِهِ فِي كِتَابِهِ دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ وَذَلِكَ غَرِيبٌ مِنْهُ وَفِيهِ مِنَ النِّكَارَةِ أَنَّهُ مِنْ

الرُّومَ وَإِنَّمَا الَّذِي كَانَ مِنَ الرُّومِ الْإِسْكَندَرُ الثَّانِي وَهُوَ ابْنُ فِيلَيْسِ الْمَقْدُونِيِّ الَّذِي تُورَخُ بِهِ الرُّومُ فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ ذَكَرَ الْأُرْزُقِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَا بَنَاهُ وَأَمِنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَكَانَ وَزِيرَهُ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ إِسْكَندَرُ بْنُ فِيلَيْسِ الْمَقْدُونِيِّ الْيُونَانِيِّ وَكَانَ وَزِيرَهُ أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله أعلم . وهو الذي تُورَخُ مِنْ مَمْلَكَتِهِ مِلَّةُ الرُّومِ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَحْوِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ فَأَمَّا الْأَوَّلُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ فَكَانَ فِي زَمَنِ الْخَلِيلِ كَمَا ذَكَرَهُ الْأُرْزُقِيُّ وَغَيْرُهُ وَأَنَّهُ طَافَ مَعَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَمَّا بَنَاهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ قُرْبَانًا وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا صَالِحًا مِنْ أَخْبَارِهِ فِي كِتَابِ الْبِدَايَةِ وَالنَّهَائَةِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : كَانَ مَلِكًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقُرْنَيْنِ لِأَنَّ صَفْحَتَيْ رَأْسِهِ كَانَتَا مِنْ نُحَاسٍ قَالَ : وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ مَلِكُ الرُّومِ وَقَارِسُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانَ فِي رَأْسِهِ شِبْهُ الْقُرْنَيْنِ وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ : سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ رِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ فَقَالَ كَانَ عَبْدًا نَاصِحًا لِلَّهِ فَنَاصَحَهُ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ فَمَاتَ فَأَحْيَاهُ اللَّهُ فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ فَضَرَبُوهُ عَلَى قَرْنِهِ فَمَاتَ فَسُمِّيَ ذَا الْقُرْنَيْنِ وَكَذَا رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ سَمِعَ عَلِيًّا يَقُولُ ذَلِكَ وَيُقَالُ إِنَّهُ إِذَا سُمِّيَ ذَا الْقُرْنَيْنِ لِأَنَّهُ بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّمْسِ وَيَغْرُبُ .

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)

وَقَوْلُهُ " إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ " أَيُّ أُعْطِينَاهُ مَلِكًا عَظِيمًا مُمَكَّنًا فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْتَى الْمُلُوكَ مِنَ التَّمَكِينِ وَالْجُنُودِ وَالْأَلَاتِ الْحَرْبِ وَالْحِصَارَاتِ وَلِهَذَا مَلِكُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مِنَ الْأَرْضِ وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْعِبَادِ وَخَدَمَتْهُ الْأُمَمُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَلِهَذَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ إِذَا سُمِّيَ ذَا الْقُرْنَيْنِ لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنَيْ الشَّمْسِ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا وَقَوْلُهُ " وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَعِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ يَعْنِي عِلْمًا وَقَالَ قَتَادَةُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ " وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا " قَالَ : مَنَازِلَ الْأَرْضِ وَأَعْلَامَهَا وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ " وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا " قَالَ تَعْلِيمَ الْإِنْسَانِ قَالَ كَانَ لَا يَغْزُو قَوْمًا إِلَّا كَلَّمَهُمْ بِلِسَانِهِمْ وَقَالَ ابْنُ لَهَيْعَةَ : حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ غَيْلَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ : أَنْتَ تَقُولُ إِنَّ ذَا الْقُرْنَيْنِ كَانَ يَرِبُطُ خَيْلَهُ بِالثَّرِيَا ؟ فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ إِنَّ كُنْتُ قُلْتُ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ " وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا " وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ هُوَ الصَّوَابُ وَالْحَقُّ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ الْإِنْكَارِ فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ يَقُولُ عَنْ كَعْبٍ : إِنَّ كُنَّا نَلْبَسُ عَلَيْهِ الْكُذْبَ يَعْنِي فِيمَا يَنْقُلُهُ لَأَنَّهُ كَانَ يَتَعَمَّدُ نَقْلَ مَا لَيْسَ فِي صُحُفِهِ وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي صُحُفِهِ أَنَّهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي غَالِبُهَا مُبَدَّلٌ مُصَحَّفٌ مُخْتَلَقٌ وَلَا حَاجَةَ لَنَا مَعَ خَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا بِالْكَلْبِيَّةِ فَإِنَّهُ دَخَلَ مِنْهَا عَلَى النَّاسِ شَرٌّ كَثِيرٌ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ . وَتَأْوِيلُ كَعْبِ قَوْلِ اللَّهِ " وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا " وَاسْتِشْهَادُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَجِدُهُ فِي صُحُفِهِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَرِبُطُ خَيْلَهُ بِالثَّرِيَا غَيْرَ صَحِيحٌ وَلَا مُطَابِقٌ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْبَشْرِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا إِلَى التَّرَقِّيِّ فِي أَسْبَابِ

السَّمَاوَاتِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّ بَلْقَيْسٍ " وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ " أَي مِمَّا يُؤْتَى مِنْهَا مِنَ الْمَلُوكِ وَهَكَذَا ذُو الْقُرْنَيْنِ يَسِّرَ اللَّهُ لَهُ الْأَسْبَابَ
أَي الطَّرِيقَ وَالْوَسَائِلَ إِلَى فَتْحِ الْأَقَالِيمِ وَالرَّسَاتِيْقِ وَالْبِلَادِ وَالْأَرَاضِي وَكَسَرَ الْأَعْدَاءَ وَكَبَتِ مَلُوكَ الْأَرْضِ وَإِذْ نَالَ أَهْلَ الشَّرِكِ قَدْ أُوتِيَ مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ سَبَبًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْمُخْتَارَةِ لِلْحَافِظِ الضِّيَاءِ الْمُقَدِّسِيِّ مِنْ طَرِيقِ قُتَيْبَةَ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ حَمَادٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ كَيْفَ بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ؟ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سَخَّرَ لَهُ السَّحَابَ وَقَدَّرَ لَهُ الْأَسْبَابَ
وَيَسَّطَ لَهُ الْيَدَ .

فَاتَّبَعَ سَبَبًا (85)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ " فَاتَّبَعَ سَبَبًا " يَعْنِي بِالسَّبَبِ الْمُنْزَلَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ " فَاتَّبَعَ سَبَبًا " مَنْزِلًا وَطَرِيقًا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَفِي رِوَايَةٍ
عَنْ مُجَاهِدٍ " سَبَبًا " قَالَ طَرَفِيُّ الْأَرْضِ وَقَالَ قَتَادَةُ أَي اتَّبَعَ مَنَازِلَ الْأَرْضِ وَمَعَالِمَهَا وَقَالَ الضَّحَّاكُ " فَاتَّبَعَ سَبَبًا " أَي الْمَنَازِلَ وَقَالَ
سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ : " فَاتَّبَعَ سَبَبًا " قَالَ عَلِمًا وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَعَبِيدُ بْنُ يَعْلَى وَالسُّدِّيُّ وَقَالَ مَطَرٌ : مَعَالِمٍ وَأَثَارٍ كَانَتْ قَبْلَ
ذَلِكَ .

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا
(86) وَقَوْلُهُ : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ " أَي فَسَلَّكَ طَرِيقًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَقْصَى مَا يُسَلَّكَ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ وَهُوَ
مَغْرِبُ الْأَرْضِ وَأَمَّا الْوُصُولُ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ مِنَ السَّمَاءِ فَمُتَعَدِّرٌ وَمَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُ الْقِصَصِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ أَنَّهُ سَارَ فِي الْأَرْضِ مُدَّةً
وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ مِنْ وَرَائِهِ فَشَيْءٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَأَكْثَرُ ذَلِكَ مِنْ خُرَافَاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَاخْتِلَافِ زَنَادِقَتِهِمْ وَكُذِّبَهُمْ وَقَوْلُهُ : " وَجَدَهَا تَغْرُبُ
فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ " أَي رَأَى الشَّمْسَ فِي مَنْظَرِهَا تَغْرُبُ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَهَذَا شَأْنٌ كُلٌّ مِنْ أَنْتَهَى إِلَى سَاحِلِهِ يَرَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِيهِ وَهِيَ
لَا تَفَارِقُ الْفُلَّكَ الرَّابِعَ الَّذِي هِيَ مُثَبَّتَةٌ فِيهِ لَا تَفَارِقُهُ وَالْحَمِيَّةُ مُشْتَقَّةٌ عَلَى إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ مِنَ الْحَمَاءَةِ وَهُوَ الطِّينُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : "
إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ " أَي طِينٍ أَمْلَسَ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي يُونُسُ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَنَّ
نَافِعَ بْنَ أَبِي نَعِيمٍ سَمِعَتْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجَ يَقُولُ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ ثُمَّ فَسَّرَهَا ذَاتَ حَمَاءَةٍ قَالَ نَافِعٌ : وَسُئِلَ عَنْهَا
كَعْبُ الْأَخْبَارِ فَقَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنِّي وَلَكِنْ أَجِدُهَا فِي الْكِتَابِ تَغْيِبُ فِي طِينَةِ سَوْدَاءَ وَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبِهِ قَالَ
مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ . وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ مِصْدَعٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي بَنٍ كَعْبِ أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ أَقْرَأَهُ حَمِيَّةً وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَامِيَّةٍ يَعْنِي حَارَةً وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ
وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَالصَّوَابُ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ وَأَيُّهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَهُوَ مُصِيبٌ قُلْتُ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ مَعْنِيهِمَا إِذْ قَدْ تَكُونُ حَارَةً
لِمُجَاوَرَتِهَا وَهَجَّ الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا وَمَلْأَقَاتِهَا الشُّعَاعَ بِلَا حَامِلٍ وَحَمِيَّةٌ فِي مَاءٍ وَطِينٍ أَسْوَدَ كَمَا قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ وَغَيْرُهُ وَقَالَ ابْنُ

جَرِيرٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا الْعَوَامُ حَدَّثَنِي مَوْلَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الشَّمْسِ حِينَ غَابَتْ فَقَالَ : " فِي نَارِ اللَّهِ الْحَامِيَةِ لَوْ مَا يَزَعُهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَأَحْرَقَتْ مَا عَلَى الْأَرْضِ " قُلْتُ وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ وَفِي صِحَّةِ رَفَعِ هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرَ وَلَعَلَّهُ مِنْ كَلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مِنْ زَامِلَتَيْهِ اللَّتَيْنِ وَجَدَهُمَا يَوْمَ الْيَوْمِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ حَمْرَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ بَشْرٍ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ أُنْبَأَنَا ابْنُ حَاضِرٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ قَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ الْكَهْفِ " تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَامِيَةٍ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِمَعَاوِيَةَ مَا نَقَرْتُمْهَا إِلَّا حَمِيَّةَ فَسَأَلَ مَعَاوِيَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو كَيْفَ تَقْرُوهَا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ كَمَا قَرَأْتَهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لِمَعَاوِيَةَ فِي بَيْتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ فَأُرْسِلَ إِلَى كَعْبٍ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرُبُ فِي التَّوْرَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ سَلْ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِهَا وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرُبُ فِي التَّوْرَةِ فِي مَاءٍ وَطِينٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ قَالَ ابْنُ حَاضِرٍ لَوْ أَنِّي عِنْدَكَ أَفَدْتُكَ بِكَلَامٍ تَزْدَادُ فِيهِ بَصِيرَةٌ فِي حَمِيَّةِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَإِذَا مَا هُوَ قُلْتُ فِيمَا يُؤْتِرُ مِنْ قَوْلٍ تَبِعَ فِيمَا ذَكَرْتَهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِي تَخْلُقُهُ بِالْعِلْمِ وَاتِّبَاعَهُ إِيَّاهُ بَلَّغَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ يَبْتَغِي ...

أَسْبَابَ أَمْرٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا ... فِي عَيْنِ ذِي حُلْبٍ وَتَاطَ حَرَمَدٌ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا الْحُلْبُ قُلْتُ الطِّينُ بِكَلَامِهِمْ قَالَ فَمَا التَّاطُ قُلْتُ الْحَمَاءُ قَالَ فَمَا الْحَرَمَدُ قُلْتُ الْأَسْوَدُ قَالَ فَدَعَا ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلًا أَوْ غُلَامًا فَقَالَ أَكْتُبْ مَا يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ بَيْنَا ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ فَقَرَأَ " وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ " فَقَالَ كَعْبٌ وَالَّذِي نَفْسُ كَعْبٍ بِيَدِهِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَقْرُوهَا كَمَا أَنْزَلَتْ فِي التَّوْرَةِ غَيْرَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَإِنَّا نَجِدُهَا فِي التَّوْرَةِ تَغْرُبُ فِي مَدْرَةِ سَوْدَاءَ وَقَالَ أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيْجٍ " وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا " قَالَ مَدِينَةٌ لَهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَابٍ لَوْ أَنَّ أَصْوَاتَ أَهْلِهَا لَسَمِعَ النَّاسُ وَجُوبَ الشَّمْسِ حِينَ تَجِبُ وَقَوْلُهُ : " وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا " أَيُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ ذَكَرُوا أَنَّهَا كَانَتْ أُمَّةً عَظِيمَةً مِنْ بَنِي آدَمَ وَقَوْلُهُ " قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا " مَعْنَى هَذَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَكَّنَهُ مِنْهُمْ وَحَكَمَهُ فِيهِمْ وَأَظْفَرَهُ بِهِمْ وَخَيْرَهُ إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَسَبَى وَإِنْ شَاءَ مِنْ أَوْ فَدَى فَعَرَفَ عَدْلَهُ وَإِيمَانَهُ فِيمَا أَبْدَاهُ عَدْلَهُ وَبَيَّانَهُ .

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا (87)

فِي قَوْلِهِ " أَمَّا مَنْ ظَلَمَ " أَيُّ اسْتَمَرَ عَلَى كُفْرِهِ وَشْرِكِهِ بِرَبِّهِ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ قَالَ قَتَادَةُ بِالْقَتْلِ وَقَالَ السُّدِّيُّ كَانَ يَحْمِي لَهُمْ بَقَرِ النَّحَاسِ وَيَضَعُهُمْ فِيهَا حَتَّى يَذُوبُوا . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنبَهٍ كَانَ يُسَلِّطُ الظُّلْمَةَ فَتَدْخُلُ أَجْوَاهَهُمْ وَبَيْوتَهُمْ وَتَغْشَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ وَاللَّهِ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ " ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا " أَيُّ شَدِيدًا بَلِيغًا وَجِيعًا أَلِيمًا وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ الْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ .

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)

وَقَوْلُهُ : " وَأَمَّا مَنْ آمَنَ " أَيُّ تَابَعَنَا عَلَى مَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَنَا شَرِيكَ لَهُ " فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى " أَيُّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عِنْدَ

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا " قَالَ مُجَاهِدٌ مَعْرُوفًا .

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (89)

يَقُولُ تَعَالَى ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا فَسَارَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى مَطْلَعِهَا وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ بِأُمَّةٍ قَهَرَهُمْ وَغَلِبَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ أَطَاعُوهُ وَإِلَّا أَذَلَّهُمْ وَأَرْغَمَ أَنفَاهُمْ وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ وَاسْتَحْدَمَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ جَبُوشَهُ عَلَى قِتَالِ الْإِقْلِيمِ الْمُتَآخِمِ لَهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90)

وَذَكَرَ فِي أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ عَاشَ أَلْفًا وَسِتْمِائَةَ سَنَةٍ يَجُوبُ الْأَرْضَ طَوْلَهَا وَالْعَرْضُ حَتَّى بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَطْلِعِ الشَّمْسِ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ " أَي أُمَّةٍ " لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا " أَي لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يَكْنُهُمْ وَلَا أَشْجَارٌ تَطْلِيهِمْ وَتَسْتُرُهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ كَانُوا حُمْرًا قِصَارًا مَسَاكِنَهُمُ الْغَيْرَانُ أَكْثَرَ مَعِيشَتَهُمْ مِنَ السَّمَكِ . وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ سَمِعَتْ سَمِعَتِ الْحَسَنَ وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى " لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا " قَالَ إِنَّ أَرْضَهُمْ لَا تَحْمِلُ الْبِنَاءَ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ تَغَوَّرُوا فِي الْمِيَاهِ فَإِذَا غَرِبَتْ خَرَجُوا يَتَرَاعُونَ كَمَا تَرَعَى الْبُهَائِمُ . قَالَ الْحَسَنُ هَذَا حَدِيثٌ سَمَرَةٌ وَقَالَ قَتَادَةُ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ بِأَرْضٍ لَا تَنْبِتُ لَهُمْ شَيْئًا فَهَمُّ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلُوا فِي أُسْرَابٍ حَتَّى إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ خَرَجُوا إِلَى حُرُوتِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَتْ لَهُمْ أَكْنَانٌ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ فَلَا أَحَدَهُمْ أَذْنَانٌ يَضْرِبُ إِحْدَاهُمَا وَيَلْبَسُ الْأُخْرَى . قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : " وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا " قَالَ هُمُ الزَّنْجُ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ " وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا " قَالَ لَمْ يَبْنُوا فِيهَا بِنَاءً قَطُّ وَلَمْ يَبْنِ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِنَاءً قَطُّ كَانُوا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلُوا أُسْرَابًا لَهُمْ حَتَّى تَرُؤَلَ الشَّمْسُ أَوْ دَخَلُوا الْبَحْرَ وَذَلِكَ أَنَّ أَرْضَهُمْ لَيْسَ فِيهَا جَبَلٌ . جَاءَهُمْ جَيْشٌ مَرَّةً فَقَالَ لَهُمْ أَهْلُهَا : لَا تَطْلَعَنَّ عَلَيْكُمْ الشَّمْسُ وَأَنْتُمْ بِهَا قَالُوا لَا نَبْرَحُ حَتَّى تَطَّلِعَ الشَّمْسُ مَا هَذِهِ الْعِظَامُ ؟ قَالُوا هَذِهِ جَيْفٌ جَيْشٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ هَاهُنَا فَمَاتُوا قَالَ فَذَهَبُوا هَارِبِينَ فِي الْأَرْضِ .

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91)

وَقَوْلُهُ " كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا " قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ : عَلِمْنَا أَي نَحْنُ مُطَّلِعُونَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ جَيْشِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهَا شَيْءٌ وَإِنْ تَضَرَّقَتْ أُمَّمَهُمْ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَإِنَّهُ تَعَالَى " لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . "

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (92)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ " ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا " أَي ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ .

حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93)

حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَهُمَا جَبَلَانِ مُتَنَاوِحَانِ بَيْنَهُمَا ثَغْرَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عَلَى بِلَادِ التُّرْكِ فَيَعْبَثُونَ فِيهَا فَسَادًا

وَيَهْلِكُونَ الْحَرْتَ وَالنَّسْلَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ " إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : يَا آدَمَ فَيَقُولُ لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ فَيَقُولُ وَمَا بَعْثَ النَّارَ ؟ فَيَقُولُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٍ إِلَى الْجَنَّةِ فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ الصَّغِيرَ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا فَقَالَ إِنْ فِيكُمْ أُمَّتَيْنِ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثَرْتَاهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ " وَقَدْ حَكَى النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ خَلِقُوا مِنْ مَنِيَّ خَرَجَ مِنْ آدَمَ فَاخْتَلَطَ بِالتُّرَابِ فَخَلِقُوا مِنْ ذَلِكَ فَعَلَى هَذَا يَكُونُونَ مَخْلُوقِينَ مِنْ آدَمَ وَلَيْسُوا مِنْ حَوَاءَ وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ جَدًّا لَأَنَّ دَلِيلَ عَلَيْهِ لَأَنَّ مِنْ عَقْلِ وَلَا مِنْ نَقْلِ وَلَا يَجُوزُ الِاعْتِمَادُ هَاهُنَا عَلَى مَا يَحْكِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُفْتَعَلَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ سَمُرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " وَلَدَ نُوحٍ ثَلَاثَةٌ : سَامٌ أَبُو الْعَرَبِ وَحَامٌ أَبُو السُّودَانِ وَيَافِثُ أَبُو التُّرْكِ " قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ مِنْ نَسْلِ يَافِثِ أَبِي التُّرْكِ وَقَالَ إِنَّمَا سُمِّيَ هَؤُلَاءِ تُرْكَاً لِأَنَّهُمْ تَرَكَوْا مِنْ وَرَاءِ السَّدِّ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ وَإِنَّمَا فَهَمُّ أَقْرَبَاءِ أَوْلِيكَ لَكِنْ كَانَ فِي أَوْلِيكَ بَغْيٌ وَفَسَادٌ وَجَرَاءَةٌ وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ هَاهُنَا عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنِبَهٍ أَشْرًا طَوِيلًا عَجِيبًا فِي سِيرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَبِنَائِهِ السَّدَّ وَكَيْفِيَّةَ مَا جَرَى لَهُ وَفِيهِ طَوْلٌ وَغَرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ فِي أَشْكَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ وَطَوْلِهِمْ وَقَصْرَ بَعْضِهِمْ وَأَدَانَهُمْ وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِيهِ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ غَرِيبَةً لَا تَصِحُّ أَسَانِيدُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ " وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا " أَيُّ لَأَسْتَعْجَامَ كَلَامِهِمْ وَبَعْدَهُمْ عَنْ النَّاسِ .

قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94)

" قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا " قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَجْرًا عَظِيمًا يَعْنِي أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مَا لَا يُعْطُونَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بَعْضَةٌ وَدِيَانَةٌ وَصَلَّاحٌ وَقَصْدٌ لِلْخَيْرِ .

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)

" مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ " أَيُّ إِنْ الَّذِي أُعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْتَّمَكِينَ خَيْرٌ لِي مِنَ الَّذِي تَجْمَعُونَهُ كَمَا قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ " أَمَدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ " الْآيَةُ وَهَكَذَا قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي تَبَدَّلُونَهُ وَلَكِنْ سَاعِدُونِي بِقُوَّةٍ أَيُّ بِعَمَلِكُمْ وَأَلَاتِ الْبِنَاءِ .

أَتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (96)

" أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ " وَالزُّبُرُ جَمْعُ زُبْرَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنْهُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَهِيَ كَاللَّبْنَةِ يُقَالُ كُلُّ لَبْنَةٍ زَنْةٌ قِنْطَارٌ بِالْدِمَشْقِيِّ أَوْ تَزِيدٌ عَلَيْهِ " حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ " أَيُّ وَضَعَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الْأَسَاسِ حَتَّى إِذَا حَادَى بِهِ رُءُوسَ الْجَبَلَيْنِ طَوَّلًا وَعَرْضًا وَاخْتَلَفُوا فِي مَسَاحَةِ عَرْضِهِ وَطَوْلِهِ عَلَى أَقْوَالٍ " قَالَ انْفُخُوا " أَيُّ أَجَجَ عَلَيْهِ النَّارَ حَتَّى صَارَ كُلُّهُ نَارًا " قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ هُوَ النَّحَاسُ زَادَ بَعْضُهُمُ الْمَذَابَ

وَيَسْتَشْهَدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى " وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ " وَهَذَا يُشَبِّهُ بِالْبُرْدِ الْمُحْبَرِ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : ذَكَرْنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَأَيْتُ سَدًّا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ قَالَ " اِنْعَمْتُ لِي " قَالَ كَالْبُرْدِ الْمُحْبَرِ طَرِيقَةَ سَوْدَاءَ وَطَرِيقَةَ حَمْرَاءَ قَالَ " قَدْ رَأَيْتَهُ " هَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ . وَقَدْ بَعَثَ الْخَلِيفَةُ الْوَاتِقُ فِي دَوْلَتِهِ بَعْضَ أَمْرَائِهِ وَجَهَزَهُ مَعَهُ جَيْشًا سَرِيَّةً لِيَنْظُرُوا إِلَى السِّدِّ وَيَعَابِنُوهُ وَيَنْعَتُوهُ لَهُ إِذَا رَجَعُوا فَتَوَصَّلُوا مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ وَمِنْ مَلِكٍ إِلَى مَلِكٍ حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ وَرَأَوْا بِنَاءَهُ مِنْ الْحَدِيدِ وَمِنَ النُّحَاسِ وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا فِيهِ بَابًا عَظِيمًا وَعَلَيْهِ أَقْفَالٌ عَظِيمَةٌ وَرَأَوْا بَقِيَّةَ اللَّبَنِ وَالْعَمَلِ فِي بُرْجٍ هُنَاكَ وَأَنَّ عِنْدَهُ حَرَسًا مِنْ الْمَلُوكِ الْمُتَاخِمَةِ لَهُ وَأَنَّهُ عَالٍ مُنِيفٌ شَاهِقٌ لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا مَا حَوْلَهُ مِنَ الْجِبَالِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَنَتَيْنِ وَشَاهَدُوا أَهْوَالًا وَعَجَائِبَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَنَّهُمْ مَا قَدَرُوا عَلَى أَنْ يَصْعَدُوا مِنْ فَوْقِ هَذَا السِّدِّ وَلَا قَدَرُوا عَلَى نَقْبِهِ مِنْ أَسْفَلِهِ وَلَمَّا كَانَ الظُّهُورُ عَلَيْهِ أَسْهَلَ مِنْ نَقْبِهِ قَابِلٌ كُلًّا بِمَا يُنَاسِبُهُ فَقَالَ " فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا " وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى نَقْبِهِ وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ .

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا رُوحٌ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَبُو رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ لِيَحْفِرُونَ السِّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ أَرْجِعُوا فَسْتَحْفِرُونَهُ غَدًا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتُهُمْ وَارَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ أَرْجِعُوا فَسْتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَيَسْتَتِنِي فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكَوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَنْشِفُونَ الْمِيَاهَ وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِّ فَيَقُولُونَ قَهْرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي رِقَابِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ دَوَّابَ الْأَرْضِ لَتَسْمَنَ وَتَشْكُرَ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ " وَرَوَاهُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ حَسَنِ هُوَ ابْنُ مُوسَى الْأَشْهَبِ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَزْهَرَ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَ أَبُو رَافِعٍ وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ ثُمَّ قَالَ غَرِيبٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ وَلَكِنْ مَتْنُهُ فِي رَفْعِهِ نَكَارَةٌ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ لَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ ارْتِقَانِهِ وَلَا مِنْ نَقْبِهِ لِأَحْكَامِ بِنَائِهِ وَصَلَابَتِهِ وَشِدَّتِهِ وَلَكِنْ هَذَا قَدْ رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّهُمْ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ يَأْتُونَهُ فَيَلْحَسُونَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ فَيَقُولُونَ غَدًا نَفْتَحُهُ فَيَأْتُونَ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ عَادَ كَمَا كَانَ فَيَلْحَسُونَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ فَيَقُولُونَ كَذَلِكَ فَيُصْبِحُونَ وَهُوَ كَمَا كَانَ فَيَلْحَسُونَهُ وَيَقُولُونَ غَدًا نَفْتَحُهُ وَيُلْهَمُونَ أَنْ يَقُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَيُصْبِحُونَ وَهُوَ كَمَا فَارَقُوهُ فَيَفْتَحُونَهُ وَهَذَا مُتَّجِهٌ وَلَعَلَّ أَبَا هُرَيْرَةَ تَلَقَّاهُ مِنْ كَعْبٍ فَإِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا كَانَ يَجَالِسُهُ وَيُحَدِّثُهُ فَحَدَّثَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ فَتَوَهَّمُ

بَعْضُ الرُّوَاةِ عَنْهُ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ فَرَفَعَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتِمَّ كُنُوفُهُمْ مِنْ نَقْبِهِ وَلَا نَقْبَ شَيْءٍ مِنْهُ وَمِنْ نَكَارَةِ هَذَا الْمَرْفُوعِ قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ سُفْيَانُ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ - قَالَتْ : اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ وَهُوَ يَقُولُ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَلُّ الْعَرَبَ مِنْ شَرْقٍ اقْتَرَبَ فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذَا " وَحَلَّقَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبِيثُ " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ وَلَكِنْ سَقَطَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ ذِكْرَ حَبِيبَةَ وَأَثْبَتَهَا مُسْلِمٌ وَفِيهِ أَشْيَاءٌ عَزِيزَةٌ نَادِرَةٌ قَلِيلَةٌ الْوُقُوعِ فِي صِنَاعَةِ الْإِسْنَادِ مِنْهَا رِوَايَةُ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ وَهِيَ تَابِعِيَّةٌ وَمِنْهَا اجْتِمَاعُ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ فِي سَنَدِهِ كُلُّهُنَّ يَرَوْنَ بَعْضَهُنَّ عَنْ بَعْضٍ ثُمَّ كُلُّ مَنْهُنَّ صَحَابِيَّةٌ ثُمَّ ثَنَّتَانِ رَبِيبَتَانِ وَثَنَّتَانِ زَوْجَتَانِ وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا فَقَالَ الْبَزَارُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وَهْبٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذَا " وَعَقَدَ التَّسْعِينَ وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ وَهْبٍ بِهِ.

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعَدَ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً وَكَانَ وَعْدَ رَبِّي حَقًّا (98)

وَقَوْلُهُ : " قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي " أَيُّ لَمَّا بَنَاهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ " قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي " أَيُّ بِالنَّاسِ حَيْثُ جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَائِلًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعَبَثِ فِي الْأَرْضِ وَالْفُسَادِ " فَإِذَا جَاءَ وَعَدَ رَبِّي " أَيُّ إِذَا اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ " جَعَلَهُ دَكَاةً " أَيُّ سَاوَاهُ بِالْأَرْضِ تَقُولُ الْعَرَبُ نَاقَةَ دَكَاةٍ إِذَا كَانَ ظَهْرُهَا مُسْتَوِيًا لَا سَنَامَ لَهَا وَقَالَ تَعَالَى : " فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا " أَيُّ مُسَاوِيًا لِلْأَرْضِ وَقَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ : " فَإِذَا جَاءَ وَعَدَ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً " قَالَ طَرِيقًا كَمَا كَانَ " وَكَانَ وَعْدَ رَبِّي حَقًّا " أَيُّ كَأَنَّهَا لَا مَحَالَةَ.

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99)

وَقَوْلُهُ : " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ " أَيُّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَيُّ يَوْمَ يَدُوكَ هَذَا السَّدَّ وَيَخْرُجُ هَوْلًا فَيَمُوجُونَ فِي النَّاسِ وَيُقْسِدُونَ عَلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَيَتَلَفُونَ أَشْيَاءَهُمْ وَهَكَذَا قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " قَالَ ذَلِكَ حِينَ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَعْدَ الدَّجَالِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ عِنْدَ قَوْلِهِ " حَتَّى إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ " الْآيَةُ وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " قَالَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ " نُفِخَ فِي الصُّورِ " عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ " فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا " وَقَالَ آخَرُونَ بَلِ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " قَالَ إِذَا مَاجَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْتَلِطُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ عَنْ يَعْقُوبِ الْقُمِّيِّ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنَتَةَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ فِي قَوْلِهِ " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " قَالَ إِذَا مَاجَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ قَالَ إِبْلِيسُ : أَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ عِلْمَ هَذَا الْأَمْرِ فَيُظْعَنُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ قَدْ قَطَعُوا الْأَرْضَ ثُمَّ يَظْعَنُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ قَدْ بَطَنُوا الْأَرْضَ فَيَقُولُ مَا مِنْ مَحِيصٍ ثُمَّ يَظْعَنُ يَمِينًا

وَسَمَاءًا إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ قَدْ بَطَنُوا الْأَرْضَ فَيَقُولُ مَا مِنْ مَحِيصٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ عَرَضَ لَهُ طَرِيقَ كَالشِّرَاكِ فَأَخَذَ عَلَيْهِ هُوَ وَذُرِّيَّتَهُ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَيْهِ إِذْ هَجَمُوا عَلَى النَّارِ فَأَخْرَجَ اللَّهُ خَازِنًا مِنْ خَزَانِ النَّارِ فَقَالَ : يَا إِبْلِيسَ أَلَمْ تَكُنْ لَكَ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ رَبِّكَ أَلَمْ تَكُنْ فِي الْجَنَانِ ؟ فَيَقُولُ لَيْسَ هَذَا يَوْمَ عِتَابٍ لَوْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيَّ فَرِيضَةً لَعِبَدْتَهُ فِيهَا عِبَادَةٌ لَمْ يُعْبَدْهُ مِثْلَهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فَيَقُولُ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكَ فَرِيضَةً فَيَقُولُ مَا هِيَ فَيَقُولُ يَا مُرْكُ أَنْ تَدْخُلَ النَّارَ فَيَتَلَكَّأَ عَلَيْهِ فَيَقُولُ بِهِ وَبِذُرِّيَّتِهِ بِجَنَاحِيهِ فَيَقْضِيهِمْ فِي النَّارِ فَتَزْفِرُ النَّارُ زُفْرَةً لَأَ يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَأَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِنَّا جَنَّا لِرُكْبَتَيْهِ وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ يَعْقُوبَ الْقُمِّيِّ بِهِ ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ يَعْقُوبَ عَنْ هَارُونَ عَنْ عَنْتَرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ " وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " قَالَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ يَمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ .

وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْأَصْبَهَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ وَهَبِ بْنِ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ وَادٍ آدَمَ لَوْ أُرْسِلُوا لَأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَالِيَهُمْ وَلَنْ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا وَإِنْ مِنْ وَرَائِهِمْ ثَلَاثُ أُمَمٍ تَأْوِيلٌ وَتَأْيِيسٌ وَمَنْسَكٌ " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ بَلْ مُنْكَرٌ ضَعِيفٌ وَرَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ سَالِمٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ أَوْسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ مَرْفُوعًا " إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ لَهُمْ نِسَاءٌ يُجَامِعُونَ مَا شَاءُوا وَشَجَرٌ يُلْقِحُونَ مَا شَاءُوا وَلَأَ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا " وَقَوْلُهُ " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ " وَالصُّورُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ وَالَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ بِطَوْلِهِ وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ . وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَطِيَّةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا " كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبِ الْقُرْنِ قَدْ اتَّقَمَ الْقُرْنُ وَحَتَّى جِبْهَتُهُ وَاسْتَمَعَ مَتَى يُؤْمَرُ " قَالُوا كَيْفَ نَقُولُ قَالَ " قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا " وَقَوْلُهُ " فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا " أَيِ أَحْضَرْنَا الْجَمِيعَ لِلْحِسَابِ " قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ " وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . "

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا (100)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يَفْعَلُهُ بِالْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمَ أَيِ يُبْرِزُهَا لَهُمْ وَيُظْهِرُهَا لِيُرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ قَبْلَ دُخُولِهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ لَهُمْ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُقَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ " ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْهُمْ .

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَأَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)

"الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي " أَيِ تَغَافَلُوا وَتَعَامَوْا وَتَصَامَمُوا عَنْ قَبُولِ الْهُدَى وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ كَمَا قَالَ : " وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " وَقَالَ هُنَا " وَكَانُوا لَأَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا " أَيِ لَأَ يَعْقِلُونَ عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيِهِ .

أَفْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102)

ثُمَّ قَالَ : " أَفْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ " أَيِ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَصْلَحُ لَهُمْ ذَلِكَ وَيَنْتَفِعُونَ بِهِ " كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا " وَهَذَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْزِلًا.

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103)

قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ مُصْعَبٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبِي يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ " قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا " أَهْمُ الْحُرُورِيَّةِ قَالَ : لَأَ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى . أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَبُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَفَرُوا بِالْجَنَّةِ وَقَالُوا لَأَ طَعَامُ فِيهَا وَلَا شَرَابُ وَالْحُرُورِيَّةِ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ فَكَانَ سَعْدٌ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ : هُمُ الْحُرُورِيَّةُ وَمَعْنَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَشْمَلُ الْحُرُورِيَّةَ كَمَا تَشْمَلُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَغَيْرَهُمْ لَأَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي هَؤُلَاءِ عَلَى الْخُصُوصِ وَلَا هَؤُلَاءِ بَلْ هِيَ أَعَمُّ مِنْ هَذَا فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ قَبْلَ خُطَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَقَبْلَ وُجُودِ الْخَوَارِجِ بِالْكَلْبِيَّةِ وَإِنَّمَا هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ بِحَسَبِ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِيهَا وَإِنَّ عَمَلَهُ مَقْبُولٌ وَهُوَ مُخْطِئٌ وَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً " وَقَالَ تَعَالَى " وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا " وَقَالَ تَعَالَى " وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا " وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ " قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ " أَيِ نُخْبِرُكُمْ " بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا " ثُمَّ فَسَّرَهُمْ.

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)

فَقَالَ " الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ " فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " أَيِ عَمِلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةٍ مَشْرُوعَةٍ مَرْضِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ " وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا " أَيِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَأَنَّهُمْ مَقْبُولُونَ مَحْبُوبُونَ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (105)

وَقَوْلُهُ : " أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ " أَيِ جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَبِرَاهِينِهِ الَّتِي أَقَامَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ وَكَذَّبُوا بِالدَّارِ الْآخِرَةِ " فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا " أَيِ لَا نُنْقِلُ مَوَازِينَهُمْ لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ عَنِ الْخَيْرِ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمٍ أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ حَدَّثَنِي أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ " لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَ يَزِنَ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ - وَقَالَ - اقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ " فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا " وَعَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ مُغِيرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ مِثْلَهُ هَكَذَا ذَكَرَهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ مُعَلَّقًا وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ بِهِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ

صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْأَكُولِ الشَّرُوبِ الْعَظِيمِ فَيُوزَنُ بِحَبَّةٍ فَلَا يَزِنُهَا " قَالَ وَقَرَأَ " فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا " وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا فَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْبُخَارِيِّ سِوَاءً . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ الْبِزَارِ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ حَسَّانَ عَنْ وَاصِلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَخْطُرُ فِي حُلَّةٍ لَهُ فَلَمَّا قَامَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " يَا بَرِيْدَةَ هَذَا مِمَّنْ لَا يُقِيمُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا " ثُمَّ قَالَ تَفَرَّدَ بِهِ وَاصِلُ مَوْلَى أَبِي عَنبَسَةَ وَعَوْنُ بْنُ عَمَارٍ وَوَيْسُ بِالْحَافِظِ وَلَمْ يَتَّبِعْ عَلَيْهِ . وَقَدْ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَمُرَةَ عَنْ أَبِي يَحْيَى عَنْ كَعْبِ قَالَ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَجُلٍ عَظِيمٍ طَوِيلٍ فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ أَقْرَعُوا " فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا . "

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا (106)

وَقَوْلُهُ : " ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا " أَيِ إِنَّمَا جَازَيْنَاهُمْ بِهَذَا الْجَزَاءِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَاتَّخَذَهُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلَهُ هُزُؤًا اسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ وَكَذَّبُوهُمْ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107)

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادَةِ السُّعْدَاءِ وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ قَالَ مُجَاهِدٌ : الْفِرْدَوْسُ هُوَ الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ وَقَالَ كَعْبُ وَالسُّدِّيُّ وَالضَّحَّاكُ هُوَ الْبُسْتَانُ الَّذِي فِيهِ شَجَرُ الْأَعْنَابِ وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ : الْفِرْدَوْسُ سُرَّةُ الْجَنَّةِ وَقَالَ قَتَادَةُ : الْفِرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ " الْفِرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا " وَهَكَذَا رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ مَرْفُوعًا وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَرْفُوعًا بِنَحْوِهِ رَوَى ذَلِكَ كُلُّهُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ " إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ " وَقَوْلُهُ تَعَالَى " نُزُلًا " أَيِ ضِيَافَةٌ فَإِنَّ النُّزْلَ الضِّيَافَةَ .

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108)

وَقَوْلُهُ " خَالِدِينَ فِيهَا " أَيِ مُقِيمِينَ سَاكِنِينَ فِيهَا لَا يَطْعَنُونَ عَنْهَا أَبَدًا " لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا " أَيِ لَا يَخْتَارُونَ عَنْهَا غَيْرَهَا وَلَا يُحِبُّونَ سِوَاهَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : فَحَلَّتْ سُوَيْدًا الْقَلْبَ لَا أَنَا بَاغِيًا ... سِوَاهَا وَلَا عَنْ حُبِّهَا أَتَحَوَّلُ وَفِي قَوْلِهِ " لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا " تَنْبِيْهُ عَلَى رَغْبَتِهِمْ فِيهَا وَحُبِّهِمْ لَهَا مَعَ أَنَّهُ قَدْ يُتَوَهَّمُ فِيمَنْ هُوَ مُقِيمٌ فِي الْمَكَانِ دَائِمًا أَنَّهُ قَدْ يَسَامُهُ أَوْ يَمْلَهُ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَعَ هَذَا الدَّوَامِ وَالْخُلُودِ السَّرْمَدِيِّ لَا يَخْتَارُونَ عَنْ مَقَامِهِمْ ذَلِكَ مُتَحَوَّلًا وَلَا انْتِقَالًا وَلَا ظَعْنًا وَلَا رِحْلَةً وَلَا بَدَلًا .

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109)

يَقُولُ تَعَالَى : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَوْ كَانَ مَاءَ الْبَحْرِ مِدَادًا لِلْقَلَمِ الَّذِي يَكْتُبُ بِهِ كَلِمَاتِ اللَّهِ وَحُكْمُهُ وَأَيَاتُهُ الدَّالَّةُ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ يَضْرُغَ كِتَابَةَ ذَلِكَ " وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ " أَي بِمِثْلِ الْبَحْرِ آخِرْتُمْ آخِرَ وَهَلُمَّ جَرًّا بِحُورٍ تَمُدُّهُ وَيَكْتُبُ بِهَا لَمَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرِ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ إِنْ مِثْلَ عِلْمِ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ الْبُحُورِ كُلِّهَا وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي " يَقُولُ لَوْ كَانَتْ تِلْكَ الْبُحُورُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَالشَّجَرُ كُلُّهُ أَقْلَامًا لَانْكَسَرَتْ الْأَقْلَامُ وَفَنِيَ مَاءُ الْبَحْرِ وَبَقِيَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ قَائِمَةً لَا يُفْنِيهَا شَيْءٌ لِأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْدِرَ قَدْرَهُ وَلَا يَثْنِي عَلَيْهِ كَمَا يَنْبَغِي حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَثْنِي عَلَى نَفْسِهِ إِنْ رَبَّنَا كَمَا يَقُولُ وَفَوْقَ مَا نَقُولُ إِنْ مِثْلَ نَعِيمِ الدُّنْيَا أَوْلَهَا وَآخِرُهَا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ كَحَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فِي خِلَالِ الْأَرْضِ كُلِّهَا. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ الْكُوفِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ آخِرُ آيَةٍ أَنْزَلَتْ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ " قُلْ " لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِرِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ " فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي كَاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْمَاضِي عَمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَخَبَرِ ذِي الْقُرْنَيْنِ مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَوْلَا مَا أَطَّلَعَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَخْبَرْتُكُمْ " أَنَّمَا إِلَهُكُمْ " الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ " إِلَهٌ وَاحِدٌ " لَا شَرِيكَ لَهُ " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ " أَي تَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ الصَّالِحِ " فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا " مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللَّهِ " وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " وَهُوَ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهَذَا نَرْكُنُ الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ صَوَابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزْرِيِّ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَقِفُ الْمَوَاقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ وَأُحِبُّ أَنْ يَرَى مَوْطِنِي فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " وَهَكَذَا أُرْسِلَ هَذَا مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ وَقَالَ الْأَعْمَشُ : حَدَّثَنَا حَمَزَةُ أَبُو عِمْرَانَ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَقَالَ أَنْبِئْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ : أَرَأَيْتَ رَجُلًا يُصَلِّيَ يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَيُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ وَيَصُومَ يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَيُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ وَيَتَصَدَّقَ يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَيُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ وَيَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَيُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ فَقَالَ عِبَادَةُ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ كَانَ لَهُ مَعِيَ شَرِيكَ فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ حَدَّثَنَا كَثِيرٌ بْنُ زَيْدٍ عَنْ رَبِيعِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ كُنَّا نَتَنَاقَبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَبَيَّنَتْ عِنْدَهُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ أَوْ يَطْرُقُهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّيْلِ فَيَبْعَثُنَا فَكَثُرَ الْمُحِبُّوسُونَ وَاهْلُ النُّوبِ فَكُنَّا نَتَحَدَّثُ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ " مَا هَذِهِ النَّجْوَى ؟ " قَالَ فَقُلْنَا تَبْنَا إِلَى

اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّمَا كُنَّا فِي ذِكْرِ الْمَسِيحِ وَفَرَقْنَا مِنْهُ فَقَالَ " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَسِيحِ عِنْدِي " ؟ قَالَ قُلْنَا بَلَى قَالَ " الشِّرْكَ "

الْخَفِيِّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّيَ لِمَكَانِ الرَّجُلِ " . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ يَعْنِي ابْنَ بَهْرَامَ قَالَ : قَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ ابْنُ غَنَمٍ لَمَّا دَخَلْنَا مَسْجِدَ الْجَابِيَةِ أَنَا وَأَبُو الدَّرْدَاءِ لَقِينَا عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَأَخَذَ يَمِينِي بِشِمَالِهِ وَشِمَالِ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِيَمِينِهِ فَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَنَا وَنَحْنُ نَتَتَجَّى وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا نَتَتَجَّى بِهِ فَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ : إِنْ طَالَ بِكُمْ عُمْرُ أَحَدِكُمَا أَوْ كَلَيْكُمَا لَتَوْشَكَانِ أَنْ تَرِيَا الرَّجُلَ مِنْ ثَبَجِ الْمُسْلِمِينَ يَعْنِي مِنْ وَسْطِ قِرَاءِ الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَعَادَهُ وَأَبْدَاهُ وَأَحْلَ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ وَنَزَلَ عِنْدَ مَنَازِلِهِ لَا يَجُوزُ فِيكُمْ إِلَّا كَمَا يَجُوزُ رَأْسَ الْحِمَارِ الْمَيِّتِ .

قَالَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعُوفُ بْنُ مَالِكٍ فَجَلَسَا إِلَيْنَا فَقَالَ شَدَادُ إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَمَّا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مِنْ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ وَالشِّرْكَ " فَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ : اللَّهُمَّ غَضْرًا أَلَمْ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ حَدَّثَنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسُّ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَمَا الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا هِيَ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا مِنْ نِسَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا فَمَا هَذَا الشِّرْكَ الَّذِي تَخَوْفُنَا بِهِ يَا شَدَادُ ؟ فَقَالَ شَدَادُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ رَأَيْتُمْ رَجُلًا يُصَلِّيَ لِرَجُلٍ أَوْ يَصُومُ لِرَجُلٍ أَوْ يَتَصَدَّقُ أَتَرُونَ أَنَّهُ قَدْ أَشْرَكَ ؟ قَالُوا نَعَمْ وَاللَّهِ إِنْ مِنْ صَلَّى أَوْ صَامَ أَوْ تَصَدَّقَ لَهُ لَقَدْ أَشْرَكَ فَقَالَ شَدَادُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ " قَالَ عُوفُ بْنُ مَالِكٍ عِنْدَ ذَلِكَ أَفَلَا يَعْمَدُ اللَّهُ إِلَى مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ كُلِّهِ فَيَقْبَلُ مَا خَلَصَ لَهُ وَيَدَعُ مَا أَشْرَكَ بِهِ فَقَالَ شَدَادُ عِنْدَ ذَلِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنْ اللَّهُ يَقُولُ أَنَا خَيْرٌ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي مِنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا فَإِنْ عَمَلَهُ قَلِيلٌ وَكَثِيرُهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ " طَرِيقَ أُخْرَى لِبَعْضِهِ " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ أَخْبَرَنَا عُبَادَةَ بْنَ نُسَيْبٍ عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ بَكَى فَقِيلَ مَا يَبْكِيكَ ؟ قَالَ شَيْءٌ سَمِعْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَبْكَانِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ " أَتَخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَشْرِكُ أُمَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ " نَعَمْ أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا حَجْرًا وَلَا وَتْنَا وَلَكِنْ يَرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضَ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَيَتْرَكَ صَوْمَهُ " وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيْبٍ بِهِ وَعِبَادَةَ فِيهِ ضَعْفٌ وَفِي سَمَاعِهِ مِنْ شَدَادٍ نَظَرَ " حَدِيثٌ آخَرَ " قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبُرَارِيُّ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرِ الْأَحْمَرِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ أَبِي حُصَيْنٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ مِنْ أَشْرَكَ بِي أَحَدًا فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ " وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ الْعَلَاءَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

يُرْوَاهُ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ " أَنَا خَيْرُ الشَّرْكَاءِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ " تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ

هَذَا الْوَجْهَ " حَدِيثَ آخَرَ " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ الْهَادِ عَنْ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لُبَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ " قَالُوا وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ " الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً " " حَدِيثَ آخَرَ " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكِيرٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ زِيَادِ بْنِ مِينَاءَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٌ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشِّرْكَ " وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْبُرْسَانِيُّ بِهِ " حَدِيثَ آخَرَ " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حَدَّثَنَا بَكَارُ حَدَّثَنِي أَبِي - يَعْنِي عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ - عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ " وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ فِرَاسٍ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " مَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُسَمِعُ يُسَمِعُ اللَّهُ بِهِ " " حَدِيثَ آخَرَ " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ شُعْبَةَ حَدَّثَنِي عَمْرٍو بْنُ مُرَّةٍ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا فِي بَيْتِ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ ابْنَ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ مَسَامِعَ خَلْقِهِ وَصَغْرَهُ وَحَقْرَهُ " فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ : حَدَّثَنَا عَمْرٍو بْنُ يَحْيَى الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ غَسَّانٍ حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " تَعْرَضُ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُحُفٍ مُخْتَمَةٍ فَيَقُولُ اللَّهُ أَتَقْوُوا هَذَا وَاقْبَلُوا هَذَا فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ يَا رَبِّ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا فَيَقُولُ إِنْ عَمِلَهُ كَانَ لَغَيْرِ وَجْهِ وَلَا أَقْبَلَ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهِ " ثُمَّ قَالَ : الْحَارِثُ بْنُ غَسَّانٍ رَوَى عَنْهُ وَهُوَ ثِقَةٌ بَصْرِيٌّ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَقَالَ وَهَبٌ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عِيَّاضَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْخَزَاعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " مَنْ قَامَ رِيَاءً وَسَمِعَتْهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ اللَّهِ حَتَّى يَجْلِسَ " وَقَالَ أَبُو يَعْلَى : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجْرِيِّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ وَأَسَاءَهَا حَيْثُ يَخْلُو فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتِهَانَتْ بِهَا رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ " وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو السُّكُونِيُّ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عِيَّاشٍ حَدَّثَنَا عَمْرٍو بْنُ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ " الْآيَةَ وَقَالَ إِنَّهَا آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ وَهَذَا أَثَرٌ مُشْكَلٌ فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ آخِرُ سُورَةِ الْكَهْفِ وَالْكَهْفُ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ وَلَعَلَّ مُعَاوِيَةَ أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ بَعْدَهَا آيَةٌ تَنْسَخُهَا وَلَا تُغَيِّرُ حُكْمَهَا بَلْ هِيَ مُثَبَّتَةٌ مُحْكَمَةٌ فَاشْتَبَهَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الرُّوَاةِ فَرَوَى بِالْمَعْنَى عَلَى مَا فَهَمَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ حَدَّثَنَا

النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ حَدَّثَنَا أَبُو قُرَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ " كَانَ لَهُ مِنَ النُّورِ مِنْ عَدَنِ أَبِيْن إِلَى مَكَّةَ حَشْوُ ذَلِكَ النُّورِ الْمَلَائِكَةِ " غَرِيبٌ جِدًا .
آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَهْفِ .